طلعنا عالحريّة

نصف شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

2017 / 2 / 21

العدد 86

جملة خبريّة !

افتتاحية بقلم أسامة نصّار

خبر صحفي:
النظام يقصف حرستا الغربية والقابون بصواريخ الفيل، وبمؤازرة من الطيران الروسي.
هذا ليس خبراً؟ هذه جملة خبرية لكنها ليست خبراً. على الخبر أن يأتي بمعلومة جديدة.
ما الجديد في متابعة النظام السوري لقتل السوريين وقصف وتدمير بلدهم؟
المؤازرة الروسية صارت خبراً بائتاً لأكثر من سنة.
ومثل ذلك، لا تُعدّ الجملة القادمة خبراً: النظام يغلق الحواجز بين برزة وباقي مدينة دمشق، ويمنع دخول وخروج الأهالي والبضائع.

خلفية:
طوال السنتين الماضيتين كانت اتفاقية الهدنة طيفاً يبدأ ثباته في حي برزة؛ الذي شهد أوائل اتفاقيات الهدن الحاصلة في سوريا بداية سنة ٢٠١٤، ثم في القسم الغربي من مدينة حرستا. ويبهت الاتفاق في حي القابون، حتى إن البعض يشكّك بوجود أي اتفاق تهدئة في الأخير.

سياق متصل:
في سياق ذي صلة، في الغوطة الشرقية المتاخمة للأحياء المذكورة، عمد الثوار لشقّ أنفاق لكسر الحصار المفروض من قبل النظام على كل المنطقة. الأنفاق تبدأ في المناطق المهادنة أو شبه المهادنة، وتقع نهاياتها في الغوطة الشرقية المحاصرة. وكل ما يتمّ تهريبه في هذه الأنفاق يمرّ في برزة، التي شكّلت «المنطقة الحرة» بالنسبة لتجارة الأنفاق، ولكن بمعنى معاكس تماماً؛ فـ«الجمارك» التي يدفعها المحاصرون مضاعفة، ويتمّ اقتسامها بين «أصحاب» النفق، وأصحاب أصحاب النفق المرتشين الذين يتغاضون عن إدخال المواد للمنطقة الحرة!

عسكرياً وسياسياً:
فالهدف الحقيقي لتجديد النظام قصفه على كل من حرستا الغربية والقابون، ولإغلاقه لحي برزة هو هذه الأنفاق. وبالتالي هو تشديد الحصار على الغوطة من جديد.

ديموغرافياً:
وبالفعل، وبعد مجازر دموية، أُجبِر آلاف من الأهالي على النزوح شرقاً، ليس عبر ممرات إنسانية آمنة، وإنما عبر أنفاق التهريب نفسها، ولم يصلوا لمنطقة آمنة أيضاً، وإنما إلى داخل الغوطة الشرقية التي تتعرض لقصف عنيف.. لكنْ معتاد!!

تحليل:
النصف الفارغ: رغم كل التوقعات، مازال النظام قادراً على المفاجأة بكم العدوان وبنوعه. مازال قادراً على فرض نزوح جماعي لمنطقة مكتظّة بالسكان بمجرد تكثيف القصف عليها لعدة ساعات.. ولا يبدوا أن الضحايا البشرية والخسائر المادية الضخمة تشكّل عليه كلفةً لا يريد تحمّلها.. فمن أعطاه الصكّ (الشيك) تركه مفتوحاً!
كما أنه مازال هناك من يرى في هذه الكوارث فرصة للإثراء واستغلال حاجات الضعفاء. (هذا أيضاً ليس خبراً).
النصف الملآن: مؤسسات الثورة قادرة على التعامل مع صدمة نزوح جماعي لآلاف العائلات. فوجود عشرات الشهداء ومئات الإصابات أدى لاستنفار الجهات الطبية الثورية، وكذلك استدعى وصول مئات العائلات المنكوبة إلى منطقة منكوبة مثلهم استنفارَ الجهات الإغاثية والدفاع المدني وكل المجالس المحلية والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، بالإضافة إلى مبادرات تطوعية كثيرة، فردية وجماعية.
براغماتيزم: الجهات المانحة تعيد التفكير في «استثماراتها» في الأراضي المهددة.
فيما يعود شبح الحصار على أهالي الغوطة الشرقية، يتابعون معاناتهم وترقبهم لما ستؤول إليه الأمور، وترتسم أمامهم مدن سورية مثل حلب وحمص القديمة والقصير وداريا وحلقات أخرى من مسلسل التغريبة السورية، بدأت مشاهدها الأولى بدايات مشابهة لما يعيشه الغوطانيون اليوم.

جملة خبرية تفتقر إلى الجِدّة: في ١٨ شباط، وأثناء دفن شهيدين في حرستا الغربية، استهدف جيش النظام المقبرة، ما أدى إلى ارتقاء المشيعين!

طلعنا عالحريّة
مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

www.freedomraise.net
المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد
رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise
info@freedomraise.net

معاون رئيس التحرير: أسامة نصّار
قسم حقوق الإنسان: أنور البني
قسم المرأة: يارا بدر
المحرر الاقتصادي: وائل موسى
الغلاف: سمير خليلي
كاريكاتير: سمير خليلي
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية: رزان زيتونة - ناظم حمادي

مالك بن نبي والصورة الكاملة

عماد العبار

يعدّ مالك بن نبي واحداً من أهم رواد النهضة في القرن العشرين. وبن نبي، كما هو معلوم، مفكر جزائري عاش في الفترة ما بين (1905 ــ 1973م). أنتج خلالها مؤلفات هامة يزيد عددها عن العشرين كتاباً، لم تأخذ حظّها من الاهتمام والنقد في زمانه. وقد عزا بعضهم قلّة الاهتمام بمؤلفاته في السابق لعوامل عديدة، منها: الطبيعة النخبوية لكتاباته، واستعماله اللغة الفرنسية في بداية حياته قبل انتقاله إلى مصر في العام 1956، وبها كتب أهم مؤلفاته. والمرجّح أيضاً أنّ لصعوبة إخضاع فكره لتصنيف أيديولوجي علاقة وثيقة بالتهميش الذي تعرّض له؛ فلقد كان من الصعب على اليساريين قبول بعض الإحالات القرآنية عند مالك، وكان من الصعب على الإسلاميين قبول كلام موضوعي حول مشكلات العالم الإسلامي، أو ذكر إيجابيات الحضارة الغربية، أو الكلام عن "قابلية للاستعمار" تعاني منها المجتمعات الإسلامية التي تقاوم المستعمِر.

وقع بن نبي، إذاً، في ذلك الحدّ الفاصل بين الإسلاميين وخصومهم، وهو فاصل يخضع الواقع فيه إلى التهميش من قبل الطرفين، كما قد يتلقّى الضربات من الجهتين أيضاً. في مشرق تستهلكه صراعات الأيديولوجيا، وتشغل حياته، ولا ينشغل إلا قليلاً جداً بسؤال النهضة... وأضيف على ذلك أنّ مالكاً كان يقول الحقيقة كاملة، في وقت كانت فيه الحقائق مزعجة، وفي عالم ما يزال كلّ طرف فيه يبحث عن حقيقة جزئية، مجتزأة، تثبت صوابيّة مواقفه وآرائه.

انشغل بن نبي بالبحث في مشكلات الحضارة، وصبّ القسم الأكبر من جهوده على فهم وتحليل مشكلات الحضارة الإسلامية، ومن ثمّ كيفية تسخير هذا التحليل لوضع شروط نهضة الأمّة في مرحلة ما بعد الاستعمار الغربي. ورأى مبكراً أنّ حضارتنا منذ مرحلة ما بعد الموحّدين فقدت إبداعها واستسلمت لغرائزها، وخرجت من دورة الحضارة بعد أن خرجت من عالم الأفكار وباتت معلّقة بعالم الأشخاص والأشياء.

نحت بن نبي مصطلحاً شديد الأهمية والخصوصية، أسماه "القابلية للاستعمار"، وقصد به مجموعة العوامل والمقومات الذاتية التي تمتلكها كثير من المجتمعات، مما يجعلها عرضة للاستعمار، أو تابعة له حتى بعد تحرّرها الشكلي منه. ومن خلال المصطلح، أعمل مالك أدواته تنقيباً عن مشاكل المجتمعات الإسلامية، وفي عوامل ضعفها وتفتتها، وفي شروط نهضتها وعودتها إلى الموقع الفاعل في الحضارة الإنسانية.

لم يقتصر بن نبي في بحثه على العوامل الذاتية للانحدار، أو النهوض؛ فعوامل الضعف الذاتية ما هي إلّا جزء من حقيقة الواقع الذي نعيشه. وعند تفكيك مشكلة الاستعمار والتبعيّة فنحن هنا أمام ظاهرة إنسانية مختلطة، ينبغي تناولها من كامل جوانبها، وإلّا كان الأمر أشبه بالتعمية عن عوامل فاعلة في تشكيل الظاهرة، ومسؤولة عن ظاهرة الاستعمار، بقدر مسؤولية الطرف الضعيف القابل للاستعمار. تناول مالك في تحليله، إذاً، العاملين الداخلي والخارجي بشكل متوازن؛ فحمّل المستعمَرين مسؤوليتهم، ولم يفرّط في مسؤولية المستعمِر الغربي ودوره في إضعاف الشعوب، وتحويلها إلى كائنات مغلوبة على أمرها.

في الجزء الأول من كتابه "وجهة العالم الإسلامي" قدّم بن نبي تحليلاً لمفهوم وعوامل القابلية للاستعمار. وفي كتاب "شروط النهضة" قدّم الوسائل الضرورية للخلاص من القابلية للاستعمار..

أمّا في كتابه "المسألة اليهوديّة"، وهو الجزء الثاني من "وجهة العالم الإسلامي"، والذي كتب في العام 1952 إبّان الحرب العالمية الثانية، ونُشر في العام 2012، أي بعد ستين عاماً من كتابته! فقد وضع بن نبي يده مبكراً على مشكلة الحضارة الغربية، محاولاً أن يفسر لغز المسألة اليهودية ودورها في بناء العالم الأوروبي، وفي ظاهرة الاستعمار، والتي ستبقى ملازمة لهذا العالم خلال القرن العشرين، معيقة كل صحوة يستبشر بها العالم القابل للاستعمار.

حين كتب كتاب "المسألة اليهودية" لم يكن الخوض في مسألة كهذه قد أصبح من المحرّمات بعد، ولم يكن الحديث عن مسؤولية اليهود قد أصبح جريمة يعاقب عليها القانون بتهمة "معاداة الساميّة"، فجاء الكتاب صريحاً ومباشراً في تفكيك القضية اليهودية ودورها في بناء العصر الحديث، ونشوء ظاهرة الاستعمار والعنصرية.. ويبدو أنّ التحولات التي حدثت لاحقاً، والتجريم الذي صار يطال أولئك الذين يخوضون في مواضيع كهذه يمكن وضعه في ذات السياق الذي تحدّث فيه مالك؛ أي في دور القضية اليهودية نفسها في تكوين سياسات الغرب، وقوانينه، ونظرته العامة للأشياء.

اللافت في الكتاب، أنّه يمثّل تكملة ضرورية لشروط النهضة التي عمل عليها رحمه الله، فلا تكتمل شروطها دون وعي المجتمعات المستعمَرة بعوامل الخلل في الحضارة الغربية، إذ لا ينبغي الاكتفاء بمعرفة الجوانب المضيئة والإيجابية فيها، وفي ذلك يقول: "يتوجب على العالم الإسلامي أن يعرف وجوه النقص في الحضارة الغربية، كما سيتعرف عظمتها الحقيقية، وبهذا تصبح هذه الصلات والمبادرات مع هذا العالم أكثر خصباً..".

وتحقيقاً لهذه المعرفة، قام بن نبي بما يشبه عملية تشريح لظاهرة الاستعمار وعلاقتها بوصول اليهود إلى أوروبا ودورهم فيها، معتبراً أنّ الحدث الرئيسي في أوروبا هو وصول اليهود كشخصية مستقلة عن الفكرة المسيحية، وهي الشخصية التي سيطرت على سائر تسلسل حضارتها. وهذا ما دفعه إلى تحليل الشخصية اليهودية نفسها، مفرّقاً بين اليهودي المثقّف، والمواطن، والمودرن، والمذهبي المتزمّت، واليهودي العالمي، واليهودي الذي رمى القناع.

على الرغم من إعجاب بن نبي بمجمل الجوانب الإيجابية للحضارة الغربية، إلا أنّه، وبعد أن عاصر بدايات نشوء الكيان الصهيوني، اعتبر وبكل وضوح أنّ قيام دولة "إسرائيل" في فلسطين مؤشّر على بدء انهيار الحضارة الغربية. ووضع هذه المسألة في سياق تلازم الاستعمار مع العنصرية في تكوين وتاريخ هذه الحضارة، وجعل هاتين الظاهرتين نتيجة للهيمنة اليهودية على مفاصل تلك الحضارة.. وقال عن تلازم العنصرية مع الاستعمار الغربي: "بغير العنصرية تكون الحرب عبارة عن غزو، كما في الغزوات القديمة التي كانت تغيب فيها العنصرية عن مدارك الغزاة. على العكس من الاستعمار الغربي، الذي أصبح استعماراً بسبب الثقافة الأوروبية ذات الخصائص العنصرية التي ابتكرت أسطورة الجنس الأبيض، ثم أبدعت أسطورة العنصر الآري، وحولت حروبها فيما وراء البحار إلى حروب استعمارية..".

في نقاش النهضة، يأتي العمل على عوامل الضعف الذاتية على سلّم الأولويات، ولهذا أولى مالك اهتماماً كبيراً بهذه العوامل، وأشبعها بحثاً. لكن، ولأنّ السكوت عن العامل الخارجي ما هو في النهاية إلّا شكل من أشكال التضليل، حاول مالك تقديم الصورة كاملة، كما يراها هو، فوقع في الحدّ الفاصل بين الإسلاميين وخصومهم، وبين المستعمِرين والمستعمَرين، وحصد الأذى من بعضهم، والتهميش وسوء الفهم من البقيّة.

(6)

جلال مراد

الفاعلية إزاء المحتوى:

لعل أن القارئ ينتظر سمات الفكر المخلص، هل هو إسلامي، هل هو قومي، هل هو شيوعي، إنساني، ماسوني، عائلي..

الحقيقة ليس أي واحد من هذه التوجهات، وبنفس الوقت هو كل هذه التوجهات!!

الفكر المحرك هو إطار فارغ يُملأ بأي فكر موجود، على أن يتم تحويله لبرامج عمل وفاعلية.

إن صحة الجسد لا تعني صحة الجهاز الهضمي فقط، ولا الجهاز التنفسي فقط، أو الجهاز الدوري، إن صحة الجسد تعني صحة كل تلك الأجهزة، بل هي الانتعاش والحيوية في الأنسجة جميعها والخلايا كلها.

ليس محتوى الفكر هو المهم، لكن ما هو مهم الفاعلية في هذا الفكر بغض النظر عن محتواه.

إن تفعيل الكتل والأحزاب والعشائر والطوائف والعائلات والهيئات وبثّ الحياة فيها هو الفكر المناسب (ذلك الفكر الفارغ إلا من الفاعلية).

فعلياً هذه الكيانات جميعها تحتوي على مكون عنصري، هذا المكون هو الذي يمكن أن يمارس الإقصاء والاستبداد على المكونات الأخرى، وقد يصل الأمر به إلى إشعال حروب بين هذه المكونات، غير أنا لو تأملنا الأمر جيداً لاستطعنا الوصول إلى نتيجة مفادها أن كل مكون جزئي من هذه الهويات إن كان في حالة من الازدهار والنشاط والقوة يضعف المكون العنصري لديه إلى أدنى الحدود، وفي حالة الضعف والوهن والتردي تزداد قوة المكون العنصري الخاص به. إذاً نستطيع وصف العلاقة بين الفاعلية والعنصرية في كل مكون أنهما على علاقة تناسب عكسية قوة الأول، تعني ضعف الثاني، والعكس صحيح.

إن كل الجهود الرامية لليّ الواقع، وقطع قدميه لتناسب السرير محكومة بالفشل، أي جهد باتجاه قولبة الواقع بقوالب ذهنية أيديولوجية جهد ضائع. إن رفض الواقع وإخراجه من الرأس بحجة أنه فاسد يكافئ رفض الواقع لك وإخراجك خارج الحياة.

هذا لا يعني بتاتاً الاستسلام للواقع، وقبوله بشكل مطلق، ولكنه يعني تقبل الواقع وفرز الحقول التي لا يمكن للإرادة الذاتية العمل بها عن الحقول التي يمكن للإرادة والعمل الإنسانيين العمل بها والتأثير باتجاه استنهاض مكامن الحياة والنمو والازدهار والرفاه.

تناقضات زائفة:

في حالات وهن الهويات الجزئية تبرز العنصرية المتوارية في كل هوية، وما يحصل أن الاختلافات بين تلك الهويات تأخذ وضع التناقض التناحري، لأن الوهن والتقهقر يفرض على المنتمين لهوية جزئية ملاحظة ما هو سلبي فقط، والتعامل معه على أنه تهديد مباشر. هذه التناقضات فعلياً ليس لها أساس من الصحة، ولكنها مجرد اختلافات في الهوية والتكوين التاريخي الثقافي لكل هوية.

عند الوهن تبدو الاختلافات تناقضات حادة، فيُنظر إلى الطقوس الدينية والعرقية والمناطقية بنظرة المشمئز، ويُنظر إلى طريقة الحياة بنظرة الكره والاستغراب، وينظر إلى العبادات والمعاملات وغيرها على أنها بدع غريبة وتهدد المجتمع بالفساد.

الحقيقة كل هذه الاختلافات تكتسي أحاسيس مختلفة تماماً في حال صحة الهوية الجزئية وتعافيها ونمائها؛ إذ يتوارى الجانب العنصري في الهوية ويرى الأشخاص المنتمين لهذه الهوية الاختلاف (العبادات، المعاملات، طريقة الحياة، نمط التفكير) على أنه غنى في الهوية العامة السورية واختلاف محبب، وليس تناقض تناحري، بل اتساع في الحياة وتلون في الوجود.

إذاً، إن تعافي الهويات الجزئية كفيل بالإجهاز على التناقضات الزائفة.

من التجريد للتحديد:

القومية العربية التهمت وطمست الأردن وسوريا وليبيا والسعودية.

الوطنية السورية التهمت وغيبت إدلب، حلب، السويداء، درعا.

محافظة درعا التهمت وغيبت داعل، بصر الحرير، سملين، الغاربة.

ما المقصود بذلك؟

هناك نمط فكروي نشأ (وهو محايث لكل نظام شمولي استبدادي) بتصعيد الفكرة الواقعية والمطلب الواقعي لرمز ذهني متوافق بالمعنى مع دلالته، مختلف في الكينونة مع دلالته.

هذا النمط الفكري أسس للسياساوية في تلك المجتمعات، وعُلقت كل الفاعليات المحتملة، وعُطلت مشاريع العمل الجزئية من خلال التركيز الكبير على المقولات الذهنية (القومية، الأمة الإسلامية، الوطن).

أقصي الواقع تماماً لصالح تصورات ذهنية تجريدية، وحُيّدَ العمل الفعال (المتنوع والمتعدد في كل الملفات) لصالح التأسيس ثم التأسيس ثم التأسيس للفكرة العامة (القومية، الأمة، الوطن)

هذا التجريد كانت نتائجه وخيمة، وإن لاحقنا دوافعه الكامنة سنتبين أنه ليس إلا تعبير عن خوف وهروب من العمل الجزئي الفعال، المثمر.

الخروج من هذا المأزق يعني حرفياً الخروج من التجريد باتجاه التحديد، الخروج من الكلي باتجاه الجزئي، الخروج من الرمزية للواقع، الخروج من العطالة نحو الفعل، الخروج من العالم الافتراضي للعالم الواقعي الحي.

يتبع .....

"يا بابا شيلني"..

شوكت غرزالدين

"يا بابا شيلني" هي صرخة طفلٍ سوريٍّ، اسمه الكامل "عبد الباسط طعّان السطوف"، تقطّعت ساقاه بقصف نازيٍّ له نكهة سوريّة-روسيّة، في بلدة الهبيط الإدلبيّة.

وهذه الصرخة صرختان: صرخة وجوديّة تقاوم الموت لتنجو، وصرخة معرفيّة مذهولة من كذب تعاليم حضارتنا/ثقافتنا وزيفها. يصرخ "عبد الباسط" في لحظة وجوديّة حديّة، تقع بالضبط بين الحياة والموت وجودياً، وتقع معرفياً، بين قدرتنا على الفعل وعجزنا عنه؛ أي بين خبايا أسس حضارتنا/ثقافتنا، تلك التي قامت على تضخيم دور الأب في الرعاية والحماية، ونسجت على منواله الله والدولة.

طفل يستنجد بأبيه؛ لكي يحميه من آلة الدمار والقتل، ولكن لا حيلة للأب ولا مجيب على صرخة الطفل. وإذا كان استنجاد الطفل بأبيه أمراً غير مستغرب؛ لأنَّ الطفل يرى في أبيه البطل الخارق، مُردِداً بذلك ما علمّته إياه حضارتنا/ثقافتنا وربته عليه، فإنَّ المستغرب والمرفوض -ناهيك عن القصف والقتل والتدمير- هو عجز الأب الحضاريّ/الثقافيّ عن تلبية نداء ابنه وإغاثته في اللحظات الحديّة، وهو عجز قائم ومكبوت ومُكرَّس حضارياً. وإذا كان عجز الأب مُبرَراً؛ لمحدوديّة جسده وطاقته وإمكانيته، فإنَّ عجز الله والحضارة والدولة غير مبرر على الإطلاق؛ لأنه عجز أخلاقيّ أساساً، ولا سيّما أنَّ الله والحضارة والدولة تشكّلوا استناداً إلى دور الأب في حماية أطفاله ورعايتهم، وبالتالي عليهم يقع حق الطفل في الحماية.

وبالتدريج ابتعد الأب والدولة والله عن دورهم المُفترض بالحماية والرعاية لرعاياهم. وبتنا إزاء حالة جديدة تتمثل في أنَّه لا رحمة عند الله يا "دين الله الواحد"، الذي كرَّس الله-الرحمة، ولا فضيلة بالدولة يا "أفلاطون"، الذي أكد على فضيلة الدولة، ولا حماية عند الأب يا حضارتنا، التي استندت لما يعتقده الأطفال بآبائهم! وهذا هو ما عليك تعلّمه يا "عبد الباسط"، إنْ بقيت على قيد الحياة. فلقد كذبت حضارتنا/ثقافتنا في أمرين اثنين: أولهما الحماية، وثانيهما الرعاية.

هذه الصرخة المزدوجة وقعت، كوقع الرعد، على مسامع البشريّة اللامبالية، والتي باتت تتجاوز 7.7 مليار بني آدم، وسيتردد صدى هذه الصرخة، طويلاً في نسيج حضارتنا/ثقافتنا، وسيكون لها تداعيات كبيرة ومجهولة. إنها صرخة كفيلة بزعزعة وتقويض الحضارة البشريّة وثقافتها، هذه الحضارة/الثقافة الذكوريّة التي تُغذّي بتربيتها ومؤسساتها أنَّ الأب بطلٌ كُليّ القدرة في عيون أبنائه وبناته.

فمن محمد الدرّة، الطفل الفلسطينيّ الذي قتله الجيش الإسرائيليّ في حضن والده وبحمايته، إلى عبد الباسط طعّان السطوف، الطفل السوريّ الذي قصفه الجيش السوريّ-الروسيّ، الصارخ بأبيه العاجز عن انتشاله، ثمة تدميرٌ منهجيّ لعلاقة الابن بأبيه، تلك العلاقة الطبيعيّة الروحيّة في آنٍ. لتتحول علاقة الأب-الابن إلى علاقة الأب-الإرهاب وعلاقة الابن-الإرهاب، مما يجعل للإرهاب حضوراً حياً في ثقافتنا متمثلاً في إرهاب الله والدولة والأب.

كانت علاقة الأب بابنه تُختصر إلى الحماية والتأمين، في نظر حضارتنا/ثقافتنا. وينظر الابن، نفسياً، لأبيه بوصفه بطلاً خارقاً يحميه، ونموذجاً أعلى يُقتدى به.

وما يزيد المأساة عمقاً هو خذلان الأب لابنه بحكم عجزه البشريّ حضارياً وواقعياً، ولكن، بتضخيم حجم الأب وجبروته نفسياً وتربوياً، تتعمق المأساة لتطال أسس حضارتنا/ثقافتنا، تلك الأسس التي قام عليها الله نفسه، وقامت الدولة عليها كذلك، كما شرحهما "سيغموند فرويد". فمن أين لطفل أنْ يعرف أنَّ أباه، كباقي البشر، لا حول له ولا قوّة، أمام جبروت الله والحضارة والدولة؟ ومن أين له أنْ يعرف أنَّ الله والدولة قد تشكلا على شاكلة الأب؟ إنَّ الله مات مُكفّناً برحمته المزعومة، والدولة ماتت مُكفّنة برعويتها ورعايتها الأكذوبة، والأب مات مُكفناً بحمايته، والحضارة تنتظر أسساً جديدة لتقوم عليها من جديد.

في عام 1997، يحكي فيلم إيطالي اسمه "الحياة حلوة"، قصة أب يهوديّ يتعرض للاعتقال وابنه في معسكر فاشيٍّ-نازيّ. ويتحول جلّ همَ الأب أنْ يقنع ابنه أنهما في لعبة حرب، لا في معسكر تصفية، وكيف عليهما الفوز باللعبة. وينجح الأب في ذلك ويحمي ابنه. والسؤال هنا هل استطاع الأب اليهوديّ حماية ابنه أيام النازيّة والفاشيّة؟ طبعاً لا؛ فحاله كحال أي أب عاجز في اللحظات الوجوديّة الحديّة، وهو كحال أبي محمد الدرّة الفلسطينيّ أو أبي عبد الباسط السوريّ. ولكن لماذا يُقدِّم الفيلم ما هو عكس الواقع؟ وهل فكرة الفيلم عبارة عن رغبة مكبوتة لإعطاء دور مضخم للأب على حساب الواقع؟ وهل هي للتكفير عن خذلان الأب لابنه وعدم حمايته في الواقع؟ فآه، كم يحتاج الأب من قوّة مستحيلة ليحقّق صرخة ابنه؟

يجب على مشاهدي الفيديو، الذي يوثّق صرخة الطفل "عبد الباسط السطوف" وذهوله، أنْ لا يعودوا إلى النحيب؛ بأنْ يثير الفيديو الشفقة عندهم، وذلك من خلال وضع أنفسهم موضع الأب ومعاناته وعجزه، أو موضع الطفل المذهول والمصدّق لأكذوبة الحماية والرعاية، بل عليهم القيام بالتحدي لتجاوز انحطاط حضارتنا بسلطاتها الثلاث: الله، الدولة، الأب.

ويجب ملاحظة أنَّ كبت البشريّة لصور الإرهاب، تُدلِّل على تنامي الإرهاب وتعمقه؛ فالإرهاب "كائن لا يُحتمل ثقله" يسعى البشر لنسيانه، فيعود تصعيدياً على شكل حضارة إرهابيّة. فلا، وألف لا، لكبت الإرهاب ونسيانه، ونعم لوقفه عند حدّه. علينا أنْ نلاحظ كيف تظافرت سُلط ثلاث في إنتاج الإرهاب وهي سلطة الله وسلطة الدولة وسلطة الأب، وعلينا كذلك فكفكتها.

وأخيراً: إنَّ صرخة الطفل "عبد الباسط السطوف" ليست صرخة فحسب، بل هي بصقة على حضارتنا/ ثقافتنا.

نازحة من مدينة دير الزور السورية:
"كّنا نعيش في مدينة الجحيم"

كمال شيخو

تروي "عتاب" وهي سيدة سورية في بداية عقدها الرابع من مدينة دير الزور، كيف أنها قرّرت مع زوجها وابنتيهما الصغار أنّ يلوذوا بالفرار من "أرض الجحيم" على حدّ وصفها، حيث اضطروا للهروب بدايةً من شارع القصور وسط المدينة، قاصدين الأحياء الشرقية الخاضعة لسيطرة تنظيم "الدولة الإسّلامية" الذي بات يعرف إعلامياً باسم "داعش".

وتعتبر مدينة دير الزور منقسمة السيطرة منذ شهر كانون الثاني/ يناير عام 2015. إذ يخضع قسمها الشرقي وريفها لسيطرة مسلحي "تنظيم الدولة" المتشدّد، فيما تسيطر القوات النظامية الموالية للأسد على قسمها الغربي، وهذه الأحياء تقع وسط المدينة وغربها.

فانقطاع الكهرباء وقلة المياه وفقر الخدمات ونقص مادة الخبز، دفعت بعتاب وعائلتها للنزوح سراً عبر طرق التهريب قاصدين مخيم الهول (40 كيلو متر شرق الحسكة) حيث مكثوا فيه مدة شهر، ثم انتقلوا للعيش في مدينة الحسكة منذ بداية الشهر الحالي.

محاصرة السكان

ونقلت عتاب في لقائها مع مجلة (طلعنا عالحرية) أنها: "ما جبرني على المر غير الأمر منه، من سنتين وهذه حالة الناس بالدير، حرب وقصف.. ومرت علينا ليالي كثيرة كنا ننام فيها ونحن جوعانين".

ويحاصر عناصر التنظيم المناطق التي يسيطر عليها النظام بدير الزور، وتعمدوا إغلاق جميع المعابر البرية والمائية المؤدية إليها، ومنعوا دخول المواد الغذائية والطبية وخروج المدنيين منذ ما يقارب السنتين.

وذكرت عتاب أنّ زوجها كان يضطر للوقوف في صفوف لساعات من أجل الحصول على حصة العائلة من الخبز. وعن ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، قالت: "كلما يرتفع الدولار كان كل شيء يغلى. السكر والشاي والرز والسمنة، والمشكلة تبقى مرتفعة حتى وإن توفرت المواد بالسوق".

وتحولت سياسة الحصار خلال سنوات الحرب الدائرة في سوريا، إلى سلاح رئيسي تستخدمه كافة الأطراف المتنازعة. فالنظام يحاصر مناطق عديدة خرجت عن سيطرته، في حين يحاصر مسلحو التنظيم نحو 100 ألف شخص في دير الزور في ظروف إنسانية صعبة.

ووثق مرصد "العدالة من أجل الحياة في دير الزور" وفاة قرابة 40 مدنياً في المناطق الغربية بدير الزور، إما بسبب سوء التغذية أو انتشار الأمراض. وفي لقائه مع مجلة (طلعنا عالحرية) كشف مدير المرصد جلال الحمد المنحدر من مدينة دير الزور أنّ: "مناطق النظام لا يعمل فيها بشكل فعلي سوى المشفى العسكري، ولا يستقبل غالباً سوى المصابين العسكريين، بعدما أصيب مشفى الأسد الحكومي صيف العام الماضي بأضرار كبيرة، أما مستوصف الهلال الأحمر قد تتوفر فيه بعض الخدمات الطبية الإسعافية".

نقص حاد بالمواد الغذائية

وتدور اشتباكات عسكرية عنيفة في مدينة دير الزور منذ منتصف شهر كانون الثاني/ يناير الماضي، بين قوات النظام ومسلحي التنظيم، والأخير تقدم نحو أحياء النظام وقسمها الى جيبين بعدما فرض طوقاً عسكرياً على مطارها العسكري.

وأكد الحمد في كلامه إنّ: "حوالي 70 مدنياً لقوا حتفهم بسبب قصف عناصر التنظيم على مناطق النظام، وثقنا من بينهم 15 امرأة و25 طفلاً".

وشكت عتاب إنّ المتنفذين لدى أجهزة النظام كانوا يتحكمون بتوزيع المواد الغذائية والمساعدات الإنسانية المقدمة من الهلال الأحمر أو من المنظمات الإنسانية، وذكرت حادثة إنه: "بإحدى المرات وزعوا خبزاً للناس في شارع القصور، كان عدد الصحفيين بالقنوات الحكومية والروسية أكثر من كمية الخبز الموزعة، وبعد انتهاء التصوير أوقفوا التوزيع ولم يستلم يومها إلا عدد قليل"!

ويتم إدخال المساعدات والمواد الغذائية الى المناطق المحاصرة بدير الزور، إما عن طريق المهربين، أو جواً عبر مروحيات تابعة لقوات النظام أو لروسيا.

وينفذ برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة منذ شهر نيسان. أبريل العام الماضي، عملية إسقاط الغذاء جواً لمساعدة الأهالي المحاصرين بدير الزور. حيث تمت 177 عملية إسقاط للمساعدات خلال عام و10 أشهر، إلا أنها توقفت 15 يوماً بسبب الاشتباكات الدائرة فيها، بين 15 كانون الثاني/ يناير الماضي، و31 من الشهر نفسه، بعدها استؤنفت العملية.

ويقول خبراء في برنامج الأغذية العالمي إنّ الإسقاط الجوي هو الملاذ الأخير نظراً لكونه عملية معقدة، ولا يقوم بإيصال سوى جزء ضئيل من حجم المساعدات التي تحملها قافلة من الشاحنات.

مدينة منسية

ويشترط النظام السوري الحصول على موافقات أمنيّة من أجهزة المخابرات، على الراغبين في مغادرة دير الزور، لأنّ الوسيلة الوحيدة المتبقية للسفر عبر مطارها العسكري، الأمر الذي نفته عتاب وأكدت: "راجعنا أنا وزوجي 3 مرات لإعطائنا الموافقة، لكنهم رفضوا بحجة المعارك، لكن كل من لديه واسطة كان يسافر بدون هذه الإجراءات المعقدة".

وأشار أبناء دير الزور أنّ مدينتهم باتت منسية وأخبارها شحيحة رغم فظائع التنظيم، وسياسات النظام، وفي لقائه مع مجلة (طلعنا عالحرية) قال المعارض السوري رياض درار المنحدر من دير الزور إنّ "معاناة الأهالي مزدوجة نظراً لحصار التنظيم من جهة، وقصف النظام من جهة ثانية"، ولفت أنّ معركة دير الزور "ستكون متأخّرة لأنّها ليست في دائرة الحدث بالوقت الحالي، فكل الجهود الدوليّة تتركّز على مواجهة داعش في الرقّة، وبالتّالي سيطول الحصار أكثر على دير الزور".

وفي نهاية حديثه، طالب درار بتدخل إنساني عاجل من الأمم المتحدة وكافة الجهات الدوليّة، "لتخفيف عبء الحصار المضاعف والمفروض على المدنيين، بالحدّ الأدنى يجب تأمين مستلزمات العيش الضروريّة وحاجاتهم الأساسيّة من أكل ومياه وأدوية".

حارس الأطفال

قسم الرصد والسياسات - شبكة حراس

قسم الرصد: هو أحد برامج شبكة حراس؛ يقوم بمراقبة واقع الطفل السوري ومدى تمتعه بالحقوق المنصوص عليها في اتفاقية حقوق الطفل.

يطمح قسم الرصد إلى تسليط الضوء على واقع الطفل السوري، وتوثيق حالات الانتهاكات المرتكبة بحقه، بهدف تحديد طرق الاستجابة الأنسب، والمساهمة في الحدّ من ارتكاب هذه الانتهاكات.

بدأ القسم عمله في بداية عام 2015، ولا يزال يتابع مهامه حتى اليوم.

حقق انتشاراً جيداً في عدة محافظات؛ حلب، إدلب، درعا، القنيطرة، ريف دمشق.. ويسعى للتوسع في مناطق ومحافظات جديدة تحقق أهدافه على نطاق جغرافي أوسع.

بلغ عدد أفراد الفريق 37 متطوعاً في نهاية عام 2016.

رصد الفريق خلال نشاطه في العامين 1080 حالة انتهاك لحقوق الأطفال، موزعة في المحافظات والمناطق التي يوجد الفريق فيها.

يقوم قسم الرصد بأداء عمله عن طريق مجموعة من الشباب والشابات يعملون كفريق تطوعي، موزع في محافظات ومناطق داخل سوريا. يتلقى كل عضو من أعضاء الفريق قبل مباشرته العمل عدة تدريبات متعلقة بالحماية وطريقة توثيق الانتهاكات، وفق معايير تضمن الحماية للعاملين والأطفال والعمل.

تهدف عملية التوثيق في شبكة حراس إلى مناصرة حقوق الأطفال، وتسليط الضوء على واقع الطفل السوري في ظل النزاع القائم، من أجل الضغط على الأطراف المتنازعة للالتزام بالمبادئ الأساسية لحقوق الإنسان، والحفاظ على سلامة الأطفال كونهم الفئة الأكثر عرضة للخطر في الحروب.

إضافة إلى معرفة مشاكل الطفل السوري ودراسة احتياجاته من أجل الوصول لحلول عملية تحاكي الواقع.

نقوم بجمع المعلومات بواسطة كادر مدرب على رصد وتوثيق المعلومات بطريقة مباشرة عن طريق استمارة التوثيق من الضحية نفسه أو بواسطة شهود العيان أو معاينة الراصد نفسه للحدث.

يتم جمع المعلومات من الأطفال أنفسهم بطريقة تضمن عدم إلحاق الأذى بهم، وتراعي مصالحهم الفضلى، مع أخذ موافقتهم المستنيرة على إعطاء هذه المعلومات.

تحفظ هذه المعلومات في أرشيف الرصد بعد تدقيقها من المسؤول عن القسم، حيث لا تتم مشاركة هذه المعلومات مع أي جهة، نظراً لتعهدنا بالحفاظ على السرية وتماشياً مع سياسة الشبكة.

يتم إصدار تقارير حقوقية خاصة بحالات معينة، وتقارير دورية توضح حجم الانتهاكات الموثقة، تتضمن إحصائيات ومعلومات تفيد في شرح الواقع الذي يعيشه الأطفال، دون ذكر المعلومات الشخصية للأطفال، نقوم بنشرها ومشاركتها مع جهات حقوقية عاملة في المجال ذاته.

يقوم قسم الرصد والتوثيق في شبكة حراس برصد وتوثيق الانتهاكات الستة الجسيمة الآتية المرتكبة بحق الطفل السوري:

قتل وتشويه الأطفال.

اعتقال وخطف الأطفال.

العنف الجنسي الموجّه ضدّ الأطفال.

تجنيد الأطفال.

حصار الأطفال وحرمانهم من وصول المساعدات الإنسانية.

استهداف المدارس والمستشفيات، لما يسببه استهدافها من حرمان الأطفال من حقوقهم الأساسية في الصحة والتعليم.

كما نقوم برصد وتوثيق حالات حرمان الأطفال من حقوقهم الأساسية وتعريضهم للمخاطر، مثل:

حرمان الأطفال من التعليم

زواج القصر

عمالة الأطفال الاستغلالية

العنف الموجه ضدّ الأطفال

كما يقوم القسم برصد الانتهاكات الإعلامية التي يتعرض لها الأطفال عن طريق نشر صورهم أو فيديوهات تخصهم، وتصويرهم على شكل ضحايا.

يتم تلقي التبليغ عن هذه الانتهاكات عن طريق أعضاء الفريق أنفسهم، أو عن طريق المجتمع من خلال توفير رابط على موقع الشبكة يتمكن من خلاله أي شخص من التبلغ عن أي انتهاك إعلامي مرتكب بحق الأطفال.

تتم متابعة الموضوع بعد التبليغ من قبل إدارة قسم الرصد، والتواصل مع الجهات مرتكبة الانتهاك، وشرح آثار مثل هذه الانتهاكات على الأطفال في الحاضر والمستقبل، واقتراح الحلول البديلة للتصوير بحيث لا تحمل إيذاءاً مباشراً أو غير مباشر للأطفال. وقد لوحظ تعاون واضح من غالبية الجهات التي تم التواصل معها، وتعديل سياسة التصوير الخاصة بها بحيث تراعي مصالح الطفل الفضلى.

كما يتيح القسم الفرصة أمام أفراد المجتمع للتبليغ عن أي انتهاكات أخرى، يقوم بتوثيقها من خلال رابط موجود على موقع الشبكة، ليتم فيما بعد التحري عنها والتحقق منها عن طريق الفريق الموجود على الأرض لمتابعة عملية التوثيق.

الراصد: هو شخص واحد على الأقل في كل منطقة إدارية، بحيث يكون قادراً على التحري والتقصي عن وضع الطفل في كامل المنطقة الموجود فيها، ومراقبة مدى تمتع الطفل بحقوقه، وتسجيل الانتهاكات المرتكبة بحق الأطفال في منطقته. ويقوم الراصد بـ:

دراسة وضع الطفل في منطقته من حيث تمتعه بالحقوق المفروضة له

التقصي عن الانتهاكات الواقعة على الأطفال بمنطقته

تدوين حالات الانتهاك الفردية والتحري من مصداقيتها، عن طريق التواصل المباشر مع الطفل أو ذويه أو أحد أقربائه أو المسؤولين عنه.

المساعدة بتقديم دراسة عامة عن وضع المنظمات العاملة مع الطفل في منطقته والخدمات التي تقدمها للطفل.

يقوم الراصد بأداء واجباته ومسؤولياته في إطار الالتزام بأخلاقيات المهنة والمنهج الحقوقي، والالتزام بالسرية والخصوصية، والالتزام التام بمدونة قواعد سلوك العاملين الخاصة بحماية الطفل، وبيان سياسة شبكة حراس.

وتحقيقاً لهدف القسم والشبكة، وهو حماية حقوق الطفل في المجتمع، وضمان حصوله على الخدمات، دون تعرضه لاستغلال أو إيذاء، يقوم القسم بتدقيق سياسات عمل تعرض عليه من قبل منظمات أخرى عاملة مع الأطفال، أو تقدم خدمات للأطفال، بحيث يتم التحقق من السياسة ومراعاتها لمصالح الأطفال الفضلى وصيانة حقوقهم أثناء حصولهم على الخدمات.

قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ومستقبل العدالة في سوريا

المحامي أنور البني

في 22 كانون الأول 2016 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بعنوان آلية دولية محايدة ومستقلة للمساعدة في التحقيق ومقاضاة المسؤولين عن أكثر الجرائم خطورة وفق القانون الدولي، والمرتكبة في سوريا منذ مارس آذار عام 2011.

صدر القرار بتأييد 105 أعضاء، ومعارضة 15 وامتناع 522 عن التصويت، وبموجب القرار قررت الجمعية العامة إنشاء آلية، تحت إشراف الأمم المتحدة، للتعاون عن كثب مع اللجنة الدولية المستقلة للتحقيق في الانتهاكات في سوريا، من أجل جمع الأدلة والحفاظ عليها وتحليلها. كما ستسهم الآلية في تحضير الملفات من أجل تسهيل وتسريع الإجراءات الجنائية المستقلة والنزيهة، بما يتوافق مع معايير القانون الدولي في محاكم وطنية وإقليمية ودولية، أو المحاكم التي لديها اختصاص حالي أو مستقبلي للنظر في تلك الجرائم.

ماذا يمكن أن يضيف هذا القرار لمسألة العدالة في سوريا؟

ما يمكن ملاحظته أولاً أن العالم وبعد خمس سنوات من ارتكاب أفظع جرائم الحرب، والجرائم ضدّ الإنسانية في سوريا، واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً، بما فيها السلاح الكيماوي، أراد بهذا القرار أن يغطي عجزه أو تغاضيه وإغلاق أعينه عن هذه الجرائم، بمحاولة إرسال إشارة خجولة بأن مثل هذه الجرائم لن تمر مرور الكرام في النهاية، وأنه سيكون هناك محاسبة وعدالة.

ومع أن طريق إحالة ملف الجرائم المرتكبة في سوريا إلى محكمة الجنايات الدولية، أو إنشاء محكمة خاصة بذلك مغلق بإحكام، بسبب عدم توقيع سوريا على اتفاقية روما الخاصة بإنشاء المحكمة، وتوجب صدور قرار عن مجلس الأمن بذلك، وهو ما يواجه وسيواجه دائماً بالفيتو الروسي بسبب تورط المسؤولين الروس بهذه الجرائم، واحتمال مؤكد بإدانتها إذا فتح هذا الباب. وما زال طرق أبواب المحاكم الوطنية الأوروبية والغربية في بدايات صعبة، ويحتاج لجهود كبيرة وقرارات سياسية غربية بفتح هذا الباب، إلا أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يفتح إمكانية ويعطي أملاً ويرسل إشارة جدية حول نيّة العالم بعدم تجاهل العدالة في النهاية.

وحتى لو كان القرار هو مجرد تشكيل كيان دولي للبدء بجمع الأدلة والوثائق على الجرائم، فهذا أولاً يؤدي إلى حفظ الأدلة لدى مرجعية دولية، حيث لا يمكن التلاعب بهذه الأدلة في المستقبل أو إخفاؤها، كما سيؤدي إلى وجود قاعدة موحدة للأدلة والوثائق والتوثيق الذي تم عبر جهود جبارة للموثقين السوريين الذين دفع عدد كبير منهم حياته ثمناً للحصول عليها.

ويمكن بذلك أن تنتهي حالة توزع الأدلة والوثائق لدى عدد كبير من الجهات، والتي تؤدي إلى ضعف في بناء الملفات، ولا تذهب جهود وحياة الموثقين هدراً بضياع أو فقدان أو إخفاء هذه الأدلة. بالإضافة إلى أمر آخر مهم وهو أن القرار الذي حاز أغلبية دول العالم يرسل إشارة واضحة للقتلة والمجرمين بأن زمن الإفلات من العقاب له حدود، ولا يمكن الاعتماد على حلول سياسية أو تهديد أو ادعاءات بالشرعية لتحمي المجرمين.

كما أن القرار المذكور يفتح باب أمل للضحايا بأن حقوقهم لن تهدر وأن المجرمين لن يفلتوا من العقاب، وهذا مهم مستقبلاً لإعادة بناء السلم الأهلي في سوريا.

ومن المهم أن القرار جاء ليؤكد التعاون مع لجان التحقيق التي سبق أن عملت على الملف السوري، وخاصة لجنة التحقيق المشكلة من مجلس حقوق الإنسان عام 2012 ولجان التحقيق باستخدام السلاح الكيماوي، لأن ذلك يساعد على الانطلاق من حيث وصلت الجهود السابقة، ولن يبدأ من الصفر، وهذا مهم جداً لأن لجان التحقيق تلك لديها ملفات جاهزة ووثائق وأدلة وشهادات هائلة، وبالتالي فإن البناء على تلك التحقيقات سيساعد كثيراً أن تنجز اللجنة المذكورة عملها بسهولة وسرعة أكبر.

كما أن من الأمور الهامة أن توقيت صدور القرار جاء مع بدء العمل على استئناف المفاوضات حول الملف السوري، مما يرسل إشارة واضحة أن ملف العدالة لا يجب أن يكون جزءاً من هذه المفاوضات أو المساومات، وأنه أصبح خارج يد المفاوضين، وأنه لا يمكن التنازل عن محاسبة المجرمين وحقوق الضحايا تحت باب هذه المفاوضات، وأن هذا الملف لا يمكن أن يخضع للتنازل من قبل أي جهة ولا يمكن تغييبه بذريعة وقف الحرب أو تحت أي ذريعة أخرى.

الآن الجميع مدعو للتعاون مع هذا الكيان الأممي ودعم هذا العمل وتجميع كافة الوثائق والملفات والأدلة لجهة واحدة، ونأمل أن تتمكن جهود الجميع من دفع ملف العدالة إلى الواجهة، والدفع باتخاذ إجراءات لاحقة من قبل المجتمع الدولي يفتح باب العدالة بشكل كامل.

هل الظروف ملائمة لعودة اللاجئين السوريين؟

المحامي ميشال شماس

كَثُرَتْ في الآونة الأخيرة الأحاديث والمبادرات الداعية لعودة اللاجئين السوريين إلى ديارهم، وأثارت معها الكثير من التساؤلات، فما الذي تغيّر في الوضع السوري، حتى ندعو اللاجئين السوريين في أماكن اللجوء للعودة إلى ديارهم؟ وهل أصبحت الظروف مهيأة الآن لعودة اللاجئين إلى سوريا؟

قبل الإجابة على تلك التساؤلات، لابد من التأكيد على أن من حق اللاجئين السوريين العودة إلى ديارهم وبيوتهم في أي وقت ومتى يشاؤون، وأن توفر لهم كافة الظروف المعاشية والحياتية، وفي مقدمها المأكل والملبس والمشرب، والكهرباء والماء والتدفئة وضمان حرّيتهم في الرأي والتعبير والتنقل دون أي عوائق.. الخ، وهو حقّ نصت عليه الشرائع السماوية وكافة المواثيق والعهود الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان.

ولنفترض جدلاً أن ثمة عدد من اللاجئين استجابوا لتلك الدعوات وقرروا العودة إلى سوريا، فإلى أين سيعودون؟ هل إلى بيوتهم التي نُهبتْ محتوياتها وهُدمتْ حتى سويت بالأرض؟ ومن سيعوضهم على نهب بيوتهم وتدميرها، ومن يضمن لهم توفير الحد الأدنى من المعيشة، إذا كان النظام نفسه بات عاجزاً عن تأمينها حتى للمواطنين القاطنين في مناطق سيطرته، والذين يئنون من وطأة الجوع والحرمان وانقطاع المياه، والحرمان من الكهرباء ووسائل التدفئة.. الخ، وأصبحوا بدورهم يفكرون جدياً في طريق يساعدهم للخروج من سورية؟ ومن هي الجهة التي ستضمن ألاّ يتعرض أي من اللاجئين العائدين للملاحقة والاعتقال، إذا كان السوريون الذين يعيشون داخل سوريا الآن لا يأمنون على حياتهم، فمجرد الكتابة على "الفيس بوك" تعرض كاتبها للملاحقة والاعتقال والتعذيب؟ ومن يضمن عدم قيام نظام الأسد بسوق اللاجئين من الشباب إلى الخدمة العسكرية لسدّ النقص الحاصل في صفوف جيشه، نتيجة عزوف الكثير من الشباب

الذين يعيشون في مناطق سيطرته عن المشاركة في الخدمة العسكرية، وفضلوا الهرب خارج البلاد أو الاختباء عن أعين المخابرات أو دفع الرشى الباهظة؟

إن المتتبع للأوضاع الحالية في سورية، سيكتشف دون عناء أنها مازالت غير مهيأة أبداً لاستقبال اللاجئين، والأوضاع تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، في ظل استمرار النظام في ممارسة سياسته الأمنية التي كانت سبباً في انتفاضة السوريين عليه، وشكلت أيضاً وماتزال تشكل سبباً إضافياً في تهجير ملايين السوريين، وعجزه المستمر حتى عن توفير الحد الأدنى من المعيشة والشروط الحياتية حتى للموالين له.

ليست غايتي من طرح تلك الأسئلة وغيرها من التساؤلات، الوقوف في وجه عودة اللاجئين السوريين إلى بلادهم، أو منعهم من العودة إلى بيوتهم، فلا أحد يستطيع حرمان أي لاجئ سوري من حق العودة إلى وطنه وإلى بيته، بل إن جل غايتي وهدفي هو البحث عن أفضل الطرق لعودة اللاجئين إلى ديارهم، بما يؤمن لهم عودة كريمة تحفظ لهم حقوقهم وكراماتهم، وأن يعوّض لهم عن ممتلكاتهم المنهوبة وبيوتهم التي سوّيت بالأرض، وتوفير الحد الأدنى من المتطلبات المعيشية لهم، وحمايتهم من التعرض لهم في حياتهم، ومنع الأجهزة الأمنية من ملاحقتهم، وعدم سوق أبنائهم إلى الخدمة العسكرية.. إلى آخره من الإجراءات والشروط التي يجب توفرها قبل عودة اللاجئين إلى وطنهم.

إن عودة اللاجئين السوريين إلى ديارهم، هي حق لهم لا يجادلهم فيه أحد، لكن دفعهم للعودة في هذه الظروف غير الملائمة، إنما يهدف إلى تبييض صفحة النظام وتلميع صورته وإعطائه صك براءة، وإعادة تأهيله من جديد، وكأن شيئاً لم يكن، عدا عن توريط اللاجئين وتعريض حياتهم للخطر.

المطلوب اليوم هو تحسين شروط إقامة اللاجئين في أماكن اللجوء وتقديم العون لهم، ريثما تتوفر الشروط اللائقة لعودتهم، بما يحفظ كرامتهم وحقوقهم، والتي يأتي في مقدمها وقف القتال نهائياً، وطرد كافة المسلحين الأجانب وفي مقدمهم مسلحي إيران وحزب الله وحلفائهم، وتسريع عملية الانتقال السياسي بدءاً بتشكيل حكومة مؤقتة كاملة الصلاحيات تعمل فوراً على تهيئة الظروف الملائمة لعودة اللاجئين، كتأمين أماكن سكن بديلة ولائقة، ومنحهم التعويضات المناسبة عن بيوتهم التي نهبت وتهدمت وتوفير الخدمات الأساسية من أمن ومأكل وماء وكهرباء وتدفئة.. الخ.

إن الأولوية اليوم تبقى لإطلاق سراح المعتقلين في مسالخ وزنازين المخابرات، ومن أولى واجباتنا كسوريين أن نعمل على إنقاذهم من التعذيب الوحشي والقتل اليومي.

تفكيك المركزيّات البطريركيّة:
من ثنائيّة الذكورة والأنوثة إلى نِسْيَاقيّة فَصْمِ الذّات والتّأويليّة المشاعيّة

د. مازن أكثم سليمان

"المُثقَّف أوَّل من يُقاوِم، وآخِر من ينكسِر"
غسّان كنفاني.

يعرض كتابُ المُفكِّر الأستاذ جاد الكريم جباعي (فخّ المُساواة _ تأنيث الرجل.. تذكير المرأة) أنموذجاً متقدماً للحفر في الجذور العميقة للاستبداد التي يُرجِعها في طيّات هذا العمل إلى نسيان العلاقة الأصيلة بين جدلية "الفرد والنوع" من ناحية أولى, وجدلية "الذكورة والأنوثة" من ناحية ثانية, وذلك باعتبار "الفرد أو الشخص أنثى أو ذكراً, وأنثى وذكراً من جهة, وتعيُّناً للنوع الإنساني من جهة أخرى, بل هو النوع مُتعيِّناً"؛ إذ مثَّلَ الانزياح الزائف لهاتين الجدليتين حِجاباً مُركَّباً لصالح هيمنة مركزية تسلطية بطريركية لطالما مارست سطوتها وعياً ووجوداً على كامل طبقات البِنية الحياتية في سورية بما هي انعكاس لمركزية أوسع سادَتْ في الفكر والفعل العالميين نازعةً فعالية العلاقات الجدلية البناءة التي يُفترَض أن تحافظ على الاستقلال الذاتي للفرد ذكراً أو أنثى لا بوصف ذلك إعادة إنتاج لمركزية مقلوبة تحت شعار المُساواة؛ إنَّما بوصفه انفتاحاً على المُمكِن والمُختلِف والحُرّ في الوجود البشري في العالم.

يرى المُؤلِّف أنَّ سورية قد نالت استقلالها وغدت كياناً سياسياً لم يحقق صفة "الدولة" لعدم تشكُّل السوريين بوصفهم أمة وشعباً أو مجتمعاً مدنياً, إذ اختلط في اعتقاده "مفهوم الدولة بمفهوم السلطة أو الحكومة, ومفهوم السيادة بمفهوم السياسة"، حيث شكَّل الانتماء إلى ما يدعوه "المجتمع الحكومي" آليّة تغوُّل سلطوية كَبَحَتْ إمكانيات التحول إلى "المجتمع المدني", لتبتلع البِنية السلطوية الفضاء الاجتماعي عبرَ ميلها الطبيعي إلى التوسُّع والشمول والسيطرة, في مقابل ميل ذلك الفضاء الاجتماعي إلى عدم المقاومة والركود السلبي غالباً أمامَ خطابها "الوطني" و"التحرري", أو بفعل الطموح إلى الارتقاء الاجتماعي الذي يحققه الالتحاق بها والاندماج في عالمها, أو بفعل الانكفاء المُكلَّل بالفقر والجهل والأُميّة لدى بعض تيارات المجتمع المهمشة, فضلاً عن الخوف من بطش السلطة وانتقامها في حالة مُواجَهة تهدُّدها على حساب الخصوصيات أو الرؤى المختلفة التي كان يمكن أن تقاومها إلى حد كبير .

إنَّ تجربة ما بعد الاستقلال السوري تحتاج إلى مراجعة جذرية شاملة لتفكيك العناصر المكونة للوعي السياسي السوري, ولا سيما في ضوء الإخفاق في بناء دولة حديثة معاصرة، والناجم بشكل أساسي عن انتكاس التحول الديمقراطي، والتحول بدَلاً من ذلكَ _وفي مرحلة لاحقة_ إلى استبداد السلطة الشمولية التي لطالما كشفَتْ عن فصام حاد بين الشعارات التي رفَعتها، وحركيّة الواقع وتجاربه طوال عقود ماضية, وهي المسألة التي حاولت هذه السلطة ترميمها أو لنقُل ترقيعها باستمرار عبر احتلال الفضاء السياسي العام بالمُطابَقة بينه وبين مفهوم السيادة للقبض على الشرعية المُفتَقدة, ولذلك كان لابد دائماً من إخصاء الاختلاف المجتمعي بتعميم عناوين عريضة ذات نزعة شعبوية مُتَّكِئة على شعارات عروبية وإسلامية تهدف من جانب أوّل إلى استقطاب الشارع العريض بدغدغة وعيه الأوّلي, ومن جانب ثانٍ إلى استقطاب المرجعيات المذهبية وحتَّى السياسية منعاً لإمكانية قيام أيَّة مُعارَضة فاعلة ومُؤثِّرة, ولافتراس أيَّة فرصة لظهور الاختلاف المُخلِخل لوَحدة (السلطة _ الدولة _ المجتمع) الشمولية المزعومة.

لعل تسييس العروبة وتسييس الدين كانا مدخلين حاسمين لمصادرة الفضاء الاجتماعي العام في سورية, وذلك بالاستفادة من الوعي التقليدي بما هي استفادة تتأسس على العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة, والتي لم تحقق عملياً سوى إعادة إنتاج المجتمع البطريركي, الذي يعود في جذوره البشرية القديمة إلى استبدال "حكم الأب" بـ "النظام الأمومي", لتبقى دعوتا "الحداثة" و"العلمانية" مجرد قشرتيْن منفصلتيْن عن مُحتواهما المَفهومي والعمَلي, ولا سيما في ظلّ تغيب مفهوم "المُواطَنة" عبر الانقلاب على "دولة المجتمع", وإحلال "مجتمع الدولة" محلها, والانقلاب على "دولة الشعب", وإحلال "شعب الدولة" محلها أيضاً, لتكتسب صفتا "الحداثة والعلمانية طابعاً حكومياً استبدادياً في الواقع, وإيديولوجياً, في الأذهان, لا ينفصل عن أيديولوجية السلطة أو خطابها, وهو الأمر الذي حالَ "دون نمو المجتمع المدني وتشكل دولة وطنية حديثة, تحمل إمكانيّات التحول إلى دولة ديمقراطية. لقد تحولت الحداثة والعلمانية, عندنا, بالفعل, إلى علامتين حكوميتين موسومتين بالتسلط والاستبداد, فضلاً عن طابعها التلفيقي أو الهجين", الذي نحَّى جانباً و نفى فكرة "المُواطَنة" بوصفها "الصيغة السياسية لحرية الفرد وحقوق الإنسان"؛ حيث حُذِفَتْ هذه الفكرة "إلى هامش الحياة السياسية والثقافة والقانونية, فحلَّت فكرة المُناضِل والمُناضلة محلّ فكرة المُواطِن والمُواطِنة, وحلَّت الامتيازات محلّ الحقوق, فضمر الروح الإنساني, وتآكلت الحياة الإنسانية".

إنَّ الوعي السياسي الذي سادَ بعد الاستقلال هيمن عليه تياران أساسيان: "تيار ثوري أو انقلابي, عقائدي, تتقاسمه أيديولوجيات قومية واشتراكية وإسلامية, ما فوق وطنية, وأحزاب عابرة للحدود ذات سيماء ريفية و أقلوية. وتيار تقليدي: شبه ليبرالي تخترقه عصبيات جهوية وعشائرية ومذهبية وأقوامية, يشمل القوى المحافظة التي كانت صاحبة النفوذ في المجالين: الاجتماعي _ الاقتصادي والسياسي. فلم تتجذر الوطنية السورية, التي تشكلت نواتها في مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال, والمرحلة الليبرالية القصيرة التالية, ولم تعترف النخبة السورية البازغة بشرعية الدولة الناشئة حديثاً, وظلت تعاني نوعاً من شعور بـ (نقص الاكتفاء الكياني) بتعبير ياسين الحافظ. يُعبِّرُ عن ذلك وصف سورية بأنها (دولة قطرية) و(دولة ما تبقَّى), وكلتاهما صفتان تحقيريتان" تؤكدان أسباب تمدُّد الأحزاب العقائدية وتوسُّعها, في مجتمع حديث النشأة لم يُؤسِّس بعد مجتمعه المدني السوري, أو أمته الحديثة, وهو الأمر الذي مهَّدَ موضوعياً لحركة الثامن من آذار عام 1963، والتي أرسَتْ دعائم حكم الحزب الواحد بطبيعته الشعبوية, والتي تجذَّرَتْ عبرَ عملية تنسيق بنى المجتمع في المُنظمات الشعبيّة المُصادرة للفضاء العام, والقائمة على حركيّة إدماج المجتمع في مركزية سلطوية أحادية تُخفي أو تُموِّهُ الاختلاف, ولاسيما بعد الانتقال من حالة الحزب العقائديّ ذات الأبعاد المثالية في مرحلة سيادة المُناخ الليبرالي القصيرة, إلى حالة الحزب التسلطي المُتعالي الذي فرَضَ هيمنته على المجتمع عبر أيديولوجيا شمولية لم تفتأ أن تبتلع الحزب نفسه, وأنْ تُفرِّغه من مضمونه رويداً رويداً بعد انزياح مركز السلطة من التنظيم الحزبي إلى المؤسسة العسكرية _ الأمنية المُستفيدة والمُوظِّفة في آنٍ معاً لصلاتها العميقة مع البِنية الريفية و الأقلوية, والتي مارست (أي هذه المُؤسَّسة) فعل الانقضاض على الفضاء العام أو "تأميم قوة عمل المجتمع" عبر أداء تسلطي يقوم على الإرهاب والأيديولوجيا والإعلام, ليُسدَلَ الستار على المشهد السياسي في العقود الأخيرة بوصفه انتقالاً من

حكم "الحزب القائد" إلى حكم "الرئيس القائد".

وفي هذا الإطار, يدعو المُؤلِّف إلى أن نبدأ في سورية "بنقد الثقافة الكولونيالية, وعلاقة المستعمِر بالمستعمَر, التي أعيد إنتاجها فصامياً في العقيدة القومية, والعقيدة الإسلامية للإسلام السياسي", حيث التبسَ "مفهوم الذات الجمعية بمفهوم الهُوِيّة", وغدت "العلاقات بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب علاقات هووية؛ أي علاقات بين هُوِيّات ثابتة مُفترَضة قَبْليّاً. ويتجلى ذلك في علاقات السيطرة الفظة والهيمنة الثقافية الناعمة, ومن أكثر أمثلتها بروزاً علاقة المستعمِر بالمستعمَر, التي أنتجت وعينا, هُوِيَّتين شرقية وغربية مشحونتين بالعنصرية, بالطريقة نفسها التي أنتجت الأعلى والأدنى, والمرأة والرّجُل", ذلك أنَّ " نمَطَي التمايُز, الجنسي والتمايز الثقافي, ليسا منفصلين أحدهما عن الآخَر في تمثيل الاختلاف, بل إن خطاب الجنسانية وخطاب العرق مُتواشِجان وظيفياً في جهاز السلطة المركزية", ولهذا الفَهم جذره العميق الكائن في "علاقة المستعمِر الغربي بالمستعمَر الشرقي", حيث "تكون المرأة هي الشرق, والشرق هو المرأة؛ فإذا كان الشرقي مؤنثاً, والمؤنث شرقياً, يمكننا أنْ ندعي أنَّ طبيعة الأنوثة وطبيعة الشرق يجري تصويرهما على أنهما الشيء نفسه, في هذه التمثيلات", لتُطرَح "الذات الغربية بوصفها مذكرة: الثقافة الأُخرى هي دوماً مثل (الجنس الآخَر)".

إنَّ "الثقافة البطريركية هي, في الأساس, ثقافة تأنيث الرعايا, مثلما ثقافة المستعمِر هي ثقافة تأنيث السكان الأصليين", وهذه الثقافة تقوم على فكرة "العقل الكلي" الذي يصفه المُؤلِّف بأنه "تصور ساذج للكون, وأكبر كذبة فلسفية _ دينية, وأكبر خطيئة فلسفية و دينية, وأكبر إهانة للفرد الإنساني والروح الإنساني. و(العقل العربي) ومقابلُهُ (العقل الغربي) أسوأ مقولة (فكرية), لأنها إدلوجة تفاضلية لا تمتُّ إلى الفكر بأي صلة, لأن قوامها تنصيب الواحد المستبد عقلاً كلياً وتقديسه, والواحد هنا رمز للسلطة الكليانية المطلقة". ولذلك يرى الأستاذ جاد الكريم أنَّ " نقد المركزية الأوروبية والاستشراق كان صائباً وضرورياً, لكنه لم يفتح ملف الإثنية العربية المضادة, والمركزية الإثنية _ المذهبية العربية الإسلامية, ولم يعنَ بالمركزية الذكورية, والمركزية الأنثوية المضادة, سوى عدد قليل من المفكرين", ولاسيما أن ما يُسمَّى بـ (الاستغراب) لم يكن سوى فعلاً مقلوباً للاستشراق أنَّثَ بدوره الغرب بوصفه آخَراً للمركزية العربية الإسلامية, لذلك لا مناص عند نقد "المركزية الأوروبية" من نقد المركزية/المركزيات المضادة, واقتران تفكيك مفهوم "الغرب" بتفكيك مفاهيم "الشرق والعرب والمسلمين"؛ إذ إنه من الضروري أن نعمل على نقد جهاز استقبالنا للفكر الغربي, والكشف عن آثاره المباشرة وغير المباشرة في تشكل ذواتنا, ولاسيما إذا فهمنا أن مركزياتنا العربية المختلفة قد انبثقت في جانب أساسي منها عن سعي "ذاتنا الكلية" الجريحة إلى القيام "بعملية دفاع وهمية" اتكأت فيها على الماضي, مُعيدةً إنتاج "التمركز الغربي العنصري" بإلصاق صفات النقص للآخَر المُختلِف والغريب "الغرب", حيث انقلَبَ "الشعور بالدونية إلى شعور بالاستعلاء, والرهبة التي تلازم التماهي بالغالب إلى تبجُّح", فـ"الذات الجوهرية تجوهر الآخَر وتجعل منه نقيضها المطلق, وتجهل أنها تنكر ذاتها و ذاتيتها عندما تنكر ذات الآخَر, وذاتيته". و"الخطاب الأحادي المؤسَّس على إنكار الآخَر انفعالياً خطابُ ذات خاوية متلاشية متهالكة إزاء الآخَر الذي تنكره وتستنكر وجوده, تحتاج إلى شيء من الماضي أو من الخارج يملأ فراغَها ويمنحها قواماً. تأمَّلوا فكرة (الذات العربية) أو (الإسلامية), التي لا قوامَ لها من دون (الماضي), أو من دون (التراث), وما يُسمَّى (التاريخ), ومن دون قداسة اللغة, ونقاء العرق؛ أي من دون ما يسميه القوميون والإسلاميون (ثوابت الأمة), التي هي نفسها (ثوابت الملّة)", وهذا العقل الجوهراني الكلي بنظرته الاختزالية للآخَر لا ينمُّ إلا عن إعادة إنتاج "وهم العنصرية التأنيثية للاستعمار" بما هو مضمون الفكر البطريركي الأحادي, والذي لا يتوقَّفُ نفيه للآخَر عندَ ما يدَّعي اختلافه ثقافياً وعرقياً وقومياً ودينياً, إنّما يبدأ هذا الفكرُ فعلَ النفي أصلاً انطلاقاً من نفي المرأة نفسها.

*- سوف تنشر هذه الدراسة على أجزاء متسلسلة، وهي مقدمة لكتاب (فخ المُساواة _ تأنيث الرجل.. تذكير المرأة) للكاتب السوري "جاد الكريم جباعي"

جميلات في زنازين الصمت

القصة الأوّلى: صباح

نقلتها:
بشرى صالح وهنادي زحلوط

لم تكن صباح تعلم أنّ رحلتها إلى حمص في تلك الحافلة ستكون آخر رحلاتها، وأنّ أشجار الصنوبر التي أحنَتْها الريح العاتية على طريق حمص دمشق الدولي كانت أغصانها تودّ إيقافها وتحذيرها ممّا ينتظرها، وأنّ الهواء العليل الذي تنفسته يومها سيكون آخر نسائم الحريّة قبل أن توقفها دورية تابعة للأمن العسكري في ظهيرة الرابع عشر من شهر تموز للعام 2012.

سنة وأربعة أشهر قضتها صباح تحت التعذيب وفي الاستجواب، ما بين فرع الأمن العسكري بحمص ومقرّ الفرقة الرابعة في دمشق. كانت تكاد لا تقوى على المشي عبر الممر الطويل في "سجن عدرا للنساء" حينما وصلته في شهر تشرين الثاني من العام 2013. كان البرد ينخر عظامها ولا تكاد ثيابها الخفيفة تردّه عن جسدها الضعيف.

عُرِضَتْ الفتاة الشابة التي نحل عودها على القاضي في المحكمة الميدانية العسكرية بدمشق، فقرر توقيفها في الرابع من شهر نيسان من العام 2015. هي التي شاركت في التظاهر ضدّ نظام الأسد ولم يخطر ببالها وببال أحد يعرفها أنها ستعرض على محكمة ميدانية عسكرية! هي التي لم تفكر يوماً في حمل السلاح ولا حتى في النظر إليه!

في "سجن عدرا للنساء" الذي يعتبر من قبل الكثيرين منتجعاً بالقياس إلى حال الأفرع الأمنية السورية وتعذيب أقبيتها، والوحشيّة التي عرفتها في الفرقة الرابعة، فإنّ "سجن عدرا" هذا كان الجحيم الحقيقي بالنسبة لها؛ حيث تعرّضت لمضايقات وضرب مبرح من قبل عناصر وضباط موجودين في سجن النساء، كانوا حين يسمعون بالتهم العديدة الموجهة لها ينكلون بها. وقد تمّ نقلها مرّات عدّة من غرفة إلى أخرى ومن جناح إلى آخر.

لكن ما جعلها تنهار من البكاء كان قيام ضابط السجن بقصّ شعرها كاملاً أمام عينيها، كانت الخصلات تردى قتيلة واحدة تلو الأخرى أمام ناظرها، ومن بين الخصلات كانت تمر أمام عينيها سنوات طفولتها، وابتسامة أمها وهي تسرّح شعرها..

وشيئاً فشيئاً بدأت صباح تصبح أكثر انعزاليّة، تضحك دون سببٍ واضح، وتبكي دون سبب.

حتى كان اليوم الذي بدأت فيه تفكر جدّياً بالانتحار، وحاولت القيام بذلك فعلاً.

هذه قصة حقيقية لشابة ما تزال أسيرة في "سجن عدرا للنساء"، أشرنا لها هنا باسم "صباح".

هي صرخة أخرى نطلقها، قبل أن تقتل روح بريئة أخرى. فهل سيبقى العالم صامتاً عن معاناتها ومعاناة كل من معتقلينا؟!

مخاض تحت الحصار

بشرى البشوات

لم يكن نقل امرأة في حالة المخاض بالأمر السهل على دراجة نارية، فالعائلة تسكن مزرعة متطرفة في مدينة سقبا في الغوطة الشرقية، ولا تملك وسيلة نقل أخرى. ستضع "اعتدال" حملها الثالث، وهي حامل بتوأم، وأجرت قبل سنوات عملية قلب مفتوح في بداية الزواج.

كانت "اعتدال" قد تردّدت خلال فترة الحمل على النقطة الطبيّة القريبة لسكنهم، وقد أشرفت عليها طبيبة وأولتها رعاية خاصّة بسبب خطورة الحمل على حياتها.

في عام 2016 توفيت 303000 امرأة حول العالم بسبب مضاعفات تتعلق بالحمل والولادة، جميع تلك الوفيات في البلدان النامية. ففي مقابل كل امرأة تموت هناك 12 امرأة تعاني من إصابات وعدوى.

يندرج هذا الأمر على الغوطة الشرقية، ولكن مع زيادة ملحوظة وخطيرة، استمرار الحصار منذ عام 2012، وازدياد أعداد الولادات الشهرية إلى قرابة 800/1000 حالة ولادة شهرياً، ومع عدم توفر الرعاية الصحية المطلوبة وندرة الحصول عليها في بعض القرى بالإضافة إلى رداءتها، ضاعف هذا الواقع عدد وفيات الأطفال عقب وفاة أمهاتهم.

قُدِّر عدد سكان الغوطة، حسب إحصائية للمكتب الإغاثي الموحد في الغوطة، بـ مليون و195 ألف نسمة، يمثل الأطفال 42% منهم.

تنقلت عائلة "اعتدال" بين عدة قرى وبلدات في الغوطة، ممّا ساهم في زيادة العبء والتعب على كاهل امرأة حامل، تعاني أصلاً من مشكلة صحيّة، بالإضافة إلى قلقها المستمر على حياة الجنين القادم، وخوفها من تبعات هذا الحصار، خصوصاً بعد ظهور حالات جرب وحكّة على أجساد طفليها الآخرين، فقد شهدت عدة مناطق في الغوطة تلوثاً لمياه الشرب، بعد القصف بالغازات السامة والكيميائية الذي تعرضت له المنطقة.

تعيش اعتدال حالة خوف كبيرة، تقول: "أخاف أن يفاجئني المخاض ولا أتمكن من الوصول بسهولة إلى المشفى في دوما" المشفى الذي يعمل الآن بأقل من ربع طاقمه الطبي؛ نقص في المعدات، نقص في المواد الطبية. بالإضافة إلى توقف العديد من المشافي وخروجها من نطاق الخدمة بعد قصف الطيران الحربي لها.

كذلك لا تخفي قلقها وخوفها من أن تلد جنيناً مشوّهاً، بعد مشاهداتها لعدد من هذه الحالات أثناء متابعتها الدورية عند الطبيبة النسائيّة.

تقول: "شاهدت أكثر من ثلاث أو أربع سيدات أنجبنّ خلال الأشهر الماضية أطفالاً مشوهين، بسبب نقص الغذاء، ونقص الدواء، والمُكمّلات الغذائية، بالإضافة إلى أنواع الفيتامينات التي يجب أن تحصل عليها الحامل وتكون غير متوفرة في أغلب الأحيان في النقاط الطبية".

في سنوات الحصار الثلاث الأولى كانت أغلب الولادات تتم في المنزل، بسبب الخوف من القنص، أو القصف الذي يستهدف المشافي، أمّا الآن فقد تمّ افتتاح عدّة مراكز توليد لتجنيب النساء مخاطر الولادة وما بعدها، من نزيف أو "حمّى نفاس" ومضاعفات أخرى ليست بالحسبان، نتيجة حالات الوهن والضعف العام التي تعاني منها الأمهات الحوامل.

قام زوج "اعتدال" في صبيحة الخامس من شباط 2017 بنقلها على دراجة نارية إلى مشفى دوما لتضع مولودها. فالأب الذي تعرّض العام الفائت لطلقة قناص كادت أن تودي بحياته، يريد أن يرى الحياة تخطو في بيته من جديد. حمل زوجته خلفه ومضى بها نحو المشفى، حيث تمّت عملية الولادة بشكل جيد دون مضاعفات وأنجبت اعتدال صبيين توأم.

بعد الولادة حمل الزوج زوجته وطفليه وعاد بهما إلى البيت. في اليوم التالي بدا الاعتلال على أحد التوأمين، فحمله الأب وعاد به إلى المشفى، حيث وضع في الحاضنة، لكن يبدو أنّ بنية الصغير لم تكن قويّة كفاية ليصمد أكثر، فتوفي بعد ثلاثة أيام على ولادته.

تعلّق اعتدال على ذلك بالقول: "كنت أعرف بأنّ على أحد منا الرحيل، لقد تعبت كثيراً في هذا الحمل، ولم أعرف كيف استطعت الصمود حتى الولادة. ربما هكذا أفضل لي وللصغير، فكيف أستطيع أن أؤمّن حليباً لصغيرين مع شحّ الطعام الذي نتناوله، وكيف أستطيع أن أؤمن حفاضات الأطفال التي إن توفرت هنا فبسعر غال جداً!".

تتمنّى اعتدال لو أنها قدمت لهذين التوأمين ما قدمته لطفليها السابقين، لكنها "مشيئة الله" كما تقول.

التمكين المستدام للمرأة
التمكين القانوني مدخل للتمكين السياسي للمرأة

علي جبر

ينطلق التمكين المستدام للمرأة من المجال الاقتصادي، ولكنه لا يقتصر عليه، بل يتكامل مع التمكين القانوني والسياسي الذين يُفعّلان دور المرأة في مجتمعها، ممّا يمكنها من لعب دور إيجابي في كافة مراحل بناء المجتمعات والدول، وخاصّة التي تخوض صراعات من أجل التحوّل السياسي.

ينقسم التمكين القانوني إلى قسمين: الأوّل هو المعرفة بالقوانين التتميّزيّة ضدّ المرأة، كقوانين الأحوال الشخصية المتعلقة بالإرث والحضانة، وما يحق لها قانونياً وما لايحق، إذ تتنازل كثير من النساء، وخاصّة في حالات الإرث، عن حقوقهنّ كعرف اجتماعي، واعتقاداً منهنّ أنه قانون، بالرغم من أنّ القانون يعطي للمرأة كل بحسب القانون الشرعي الذي تتبع له، برغم عدم عصريّة قوانين الأحوال الشخصية السورية التي لا تعطي بالأساس من الحقوق إلاّ النذر اليسير. أمّا في حالات الحضانة فتعاني المرأة من القوانين الجائرة بحقها، وخاصّة المرتبطة بسن الحضانة بسبب مرجعيّة القوانين في الحالة السورية؛ إذ يوجد لكل طائفة قانون خاص بها يحكم أحوالها، ولكنها تتفق على التمييز ضدّ المرأة، وممّا يزيد المعاناة عدم وجود قانون مدني يُلجَأ له في حالات الخلاف. والأهم هو التمييز في قوانين العقوبات في نفس الجرم بين النساء والرجال، ما يعطي أفضلية للذكور بسبب البنية البطريركية للمجتمع.

في حالة الحرب التي تحوّلت لها الانتفاضة السورية، ومع غياب أو تغييّب الكثير من الذكور في المجتمع كونهم وقود الصراع الجديد، فقد برزت إلى السطح الكثير من المشاكل الناجمة عن عدم المعرفة بالقوانين، منها منع الأم من الانتقال مع أطفالها من بلد إلى آخر بسبب عدم وجود ولي أمر، أو تغيب الرجل لعدّة سنوات، مثل حالات الاعتقال أو القتال في مناطق أخرى، ممّا يعيق متابعة المرأة لحياتها، ويخلق مشكلة مركبة في ثقافة المجتمع الذكورية، التي تفترض بالمرأة أن تكون تحت رعاية زوجها أو أبيها أو أخيها، الأمر الذي قد لا يكون متوفراً في كثير من الحالات؛ فهي إن كانت متزوجة، فموقفها مُحرِج في نظر المجتمع إن أرادت الانفصال بسبب غياب زوجها لمدة طويلة، وبقائها مرتبطة بموجب القيود المدنية يرتب عليها تبعات تمنعها من الانتقال عرفيّاً وقانونيّاً بمفردها مع أطفالها. الوجه الآخر للمشكلة أنّ ما يفترضه المجتمع حالة طبيعية، وهي وجود أيّ من الرجال قد لايكون متوافراً، وبالتالي يحاسب المجتمع المرأة على وضع لم تختره، ولا يتوفر أيّ من مقومات وجوده.

أمّا في بلدان اللجوء فتظهر المشكلة بوجه آخر، فالمرأة مضطرّة لمتابعة حياتها في ظلّ قوانين جديدة لا سابق معرفة لها بها، الأمر الذي تعمل عليه منظمات نسائيّة من المجتمع المدني في تلك البلدان عبر تقديم مشورات قانونية لمساعدة النساء، كما تقدم المساعدة لمن تحتاج من النساء إلى طلب الانفصال القانوني لمتابعة حياتها، علماً أنّ القوانين الدينية تفرض تبعيّة في حالة الزواج تضطّر المرأة للتحرّر منها في حالات عدم وجود الزوج.

لقد فاقمت الحرب من مأساة الجهل بالقوانين بالنسبة للنساء، فهنّ ضحايا في حالات الحرب على أكثر من جهة، بسبب فقدان المعيل والاضطرار إلى الخروج من الإطار التقليدي ومواجهة العالم الخارجي منفردة، مع جهلٍ بالقوانين التي تحميها وتحدد واجباتها وحقوقها. معرفة هذه القوانين كانت لتسهّل كثيراً من خروج المرأة إلى سوق العمل، وتخفف من وطأة المواجهة مع ظروف لم تألفها المرأة من قبل.

لذلك يشكل التمكين القانوني المُستدام للمرأة رافعة مهمّة لوضع ومستقبل المرأة في كافة الخيارات التي تقف عندها سوريا في المرحلة الحاليّة، سواء الانتقاليّة أو في ما بعد، حيث يفترض أن تلعب المرأة دوراً مهمّاً في سوق العمل وفي المجال العام المدني والسياسي. وعليه فإنّ التمكين القانوني مدخل للتمكين السياسي للمرأة للقيام بأدوارها كافّة، الأمر الذي يساهم بشكل كبير في لملمة الجراح بعد الحرب.

إذ تشكّل المرحلة الانتقالية وما بعدها مناخاً للعمل المدني والسياسي الذي حرم منه المجتمع السوري لعقود مضت، والذي كان غيابه أحد عوامل انحراف الانتفاضة إلى العمل المسلّح، لذلك تبرز الحاجة إلى المجتمع المدني بكافة أطيافه، ومنها المجتمع المدني النسوي الذي يحمل عبئاً كبيراً في رفع الوعي والنضال لتحسين ظروف المرأة، كشريحة تجاوزت كونها نصف المجتمع نتيجة الصراع ومخلفاته الاجتماعية. حيث تشكّل مشاركة المرأة السياسيّة دوراً مهماً في التعبير عن كافة شرائح المجتمع، ممّا يتيح تمثيلاً عادلاً للمجتمع في الطبقة السياسية، ويُشكّل تعبيراً عن المدى الذي وصل إليه تطوّر المجتمع ونضجه من ناحية التزامه بالقيم التي نادت بها الانتفاضة من حرية وكرامة وعدالة.

ولا يقتصر التمكين السياسي المُستدام على المرحلة المقبلة بل يبدأ من الآن، بضرورة تسليط الضوء على التجارب الناجحة لمشاركة النساء في الدول التي شهدت تحوّلات ديمقراطية والدور الإيجابي الذي لعبته النساء. في تونس مثلاً كانت "وداد بوشماوي" رئيسة الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية أحد رؤساء الحوار الرباعي الذي حصل في تونس، وساهم في التحوّل الديمقراطي، وكانت "بوشماوي" من الرباعي الذي حصل على جائزة "نوبل للسلام" نتيجة الحوار الوطني الذي أدّى إلى انفراج في المجال السياسي التونسي.

في هذا الإطار تشكّل منظمات المجتمع المدني النسويّة مجالاً مهماً لمطالبة الحكومات بتحسين القوانين المُجحفة بحق النساء، من خلال عملها على حملات الضغط، والحشد للقضايا التي تهم المجتمع، كما حصل في لبنان مع حملة (الأبيض ما بيغطي الاغتصاب) التي أدّت إلى تعليق العمل بالمادة التي تسقط جرم الاغتصاب في حال تزوج المغتصب من الضحية.

هذه أمثلة للمشاركة السياسيّة للمرأة على كافة المستويات، سواء خارج الإطار النسوي، أو في حال النضال لمناصرة قضايا المرأة التي لا تنفصل عن باقي القضايا السياسيّة، وتعبّر عن درجة تقدّم المجتمع في مجال التشريعات التي تحمي المرأة.

لذلك يشكّل التمكين القانوني والسياسي المُستدام المدخل لتحريك المياه الراكدة في المجتمع السوري الذي حرم لعقود من المطالبة أو المشاركة في وضع ما يحتاجه من تشريعات وقوانين، ولا يمكن الانطلاق إلى المطالبة بتحسين القوانين والتشريعات دون وعي من شرائح المجتمع كافة بالقوانين الموجودة، ومدى عدم ملاءمتها للمُتطلّبات الحاليّة، وانخراط الفئات التي تملك المعرفة في النشاط المدني للمطالبة بتحسين القوانين والتشريعات، والأمر لا ينحصر في ضرورة المطالبة بتحسين التشريعات، بل بدءاً من الدستور الذي يكفل للجميع حقوقاً متساوية كمواطنين.

رواق

يكتبها أنور عباس

التفّاح

زاوية شهرية تسلط الضوء على الماضي والحاضر وتداعب المشاعر والعقل وتقف في وجه اليأس، وتضع النقاط على الحروف.

يشغل التفاح مكانة صوفية عند السوريين لا تحظى بها بقية الفاكهة التي تجاوره في مواطن نموه، كالدراق والكرز والإجاص؛ إذ يرتبط بجبل العرب وشهامة أهله، وجرود القلمون وشموخها، والجولان حيث الحلم يمتدّ من الأرض نحو السماء، في رحلة تعيد الاعتبار لخروج أبينا آدم منها مطروداً بسبب تفاحة أكلها بعد أن أغواه إبليس. وتفاحة الثورة هي الزبداني، التي كانت تتوق لتلاقي عنب داريا، وزيتون إدلب، وقمح حوران وفستق حلب وقطن الجزيرة وليمون الساحل على قمم الحرية والعدل.

وللتفاح منظر جميل، يسرّ العين، ورائحة تجول في الأنف حتى تبلغ القلب. وهو أصفر أو أحمر أو أخضر، وفيه لونان من ألوان علم الثورة السورية والاستقلال. ومن أحمره ما هو قانٍ كقلب عاشق متيم، أو دم شهيد قدم روحه في سبيل الحرية، ومنه ما هو فاتح كبشرة صبية لوحتها شمس حارقة في صيف طويل تنتظر خبراً من حبيب لها أغرته الثورة فأخذ بسلاحه يذود عن حياضها. ومنه الصغير والكبير، والحلو والحامض شأنه شأن الحياة، والغالي والرخيص، لكنه يبقى جميلاً بجمال غروب الشمس على رمال السمرة في أقصى شمال سوريا العطر.

ومن المدهش أن ترى التفاح يحمل مثل هذه المكانة السامية رغم تحميله وزر هبوط الإنسان من أعالي السماء، حيث الجنان تجري من تحتها الأنهار، والحور العين، والأبدية المطلقة، إلى الأرض، حيث الفناء، والسعي وراء الرزق نجاحاً وفشلاً، والهروب من الظالمين، والموت بالبراميل أو برصاص قناص غادر، هجرته روحه إلى الأبد، أو على يد محقق لا تعرف الرحمة طريقاً إلى قلبه الميت، أو في غمار بحر غاضب في رحلته نحو الأمان.

وللتفاح مكانة تاريخية أيضاً، فهو حسب المرجح، أول الفاكهة التي تمت زراعتها، وكان ذلك في بلاد الأناضول، وينسب الفضل للاسكندر المقدوني في استقدام شجرته القزم، التي تعد اليوم الأب الحقيقي لكثير من أنواع التفاح، ليتم استنباتها وتحسينها في أوروبا، إلى أن وصلت إلى أمريكا على يد المستعمرين. ويروى بأن أول مزرعة للتفاح أقيمت في العالم الجديد كانت بالقرب من مدينة بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن التفاح سرعان ما انتشر في تلك البلاد، وظهرت منه سلالات جديدة وجدت طريق العودة إلى العالم القديم، لتصبح أكثر انتشاراً من آبائها الذين عاشوا هنا، ما يذكرنا بكثير من الأفكار والتقنيات التي نستخدمها اليوم بعد أن وفدت إلينا من ذات الأرض البعيدة.

ولم يغب التفاح عن المعتقدات الدينية الوثنية والتوحيدية على حد سواء، ففي الديانات الأوربية القديمة يظهر التفاح في الأساطير الإسكندنافية حيث تصور الآلهة أيون وهي تقدم التفاح للآلهة، لتمنحهم الشباب الأبدي. وتربط الأساطير النرويجية التفاح بالخصوبة، وتروي بأن الآلهة أرسلت تفاحة إلى الملك ريرير عندما طلب أولاداً من الآلهة أودين. وتصور الآلهة الجرمانية نيهالينا مع التفاح أحياناً، وتعج القصص الإيرلندية المبكرة بإشارات مشابهة إلى التفاح.

وقد أتى التفاح إلى أوربا مع الرومان الذين جلبوه من الشرق الأدنى.

أما لدى الإغريق فالتفاح فاكهة ممنوعة وباطنية وتشير إلى فواكه أخرى أحياناً، لكن الأسطورة تقول بأن أفروديت قد أغرت أحد الملوك بامرأة جميلة لتثبت حقها في تفاحة ذهبية ألقيت على زفاف باليوس وثيتيس وتنافست عليها ثلاثة نساء، كانت أفروديت إحداهن، وحصلت عليها، وهذه يعيدنا إلى هالة الإغراء التي يتمتع بها التفاح بين أقرانه من الفاكهة.

وفي الإنجيل، لم يرد ذكر التفاح أبداً بوصفه الفاكهة التي أخرجت آدم من السماء، لكن المرجح بأن الفكرة أتت من لوحات الفنانين الأوروبيين في عصر النهضة الذي استخدموا عناصر مختلطة في لوحاتهم يعود بعضها للأساطير الإغريقية التي يظهر فيها التفاح، فأصبح الاعتقاد الشعبي بأن التفاحة هي الفاكهة المحرمة التي أخرجت الإنسان من الجنة إلى الأرض.

وفي اليهودية يؤكل التفاح مع العسل في يوم السنة الجديدة تفاؤلاً بعام جديد حلو مليء بالسعادة.

والتفاح هو سبب طلاق لبابة بنت عبد الله بنت جعفر الطيار من عبد الملك بن مروان، إذ تروي الكتب بأنه أكل قضمة من تفاحة وقدمها لها لتكملها، فتناولت سكيناً ونظفت الجزء الذي أكل منه قبل أن تأكلها، فما كان منه إلا أن طلقها بسبب تفاحة.

أما هارون الرشيد فقد قال في التفاح بعد أن أهدته واحدةً منها جاريته اللعوب: "أحسن الفاكهة التفاح، اجتمع فيه الصفرة الدرية، والحمرة الخمرية، والشقرة الذهبية، وبياض الفضة، يلذ بها من الحواس، العين ببهجتها، والأنف بريحها، والفم بطعمها". ويقال بأن أرسطو طلب من تلاميذه تفاحة يشتم رائحتها وهو على فراش الموت.

وللتفاح فوائد غذائية كثيرة، وهو الذي قيل إن واحدة منه تبعد الطبيب عن الدار، فهو يقوي الدماغ والقلب، والمعدة، ويفيد في علاج آلام المفاصل والخفقان، يسكن العطس، ويوقف القيء، ويذهب عسر التنفس ويصلح الكبد، وينقي الدم من السموم، ويقوي عضلة القلب، وبذوره تقتل دود البطن. والتفاح غني بفيتامينات ألف وباء وجيم، ويحتوي على مواد سكرية وبروتين ومواد دهنية وبكتينية وأحماض عضوية وأملاح معدنية، مما لاغنى عنه في تغذيه الخلايا وإنمائها وتقوية العظام وتجديد الخلايا العصبية، ويعتبر مصدراً مهماً لتخليص الجسم من السموم، كما أن عصيره يقتل الفيروسات والميكروبات في الجسد.

وتبقى خدود صبية جميلة تتمايل في مشيتها قبل الغروب أكثر ما يُشَبَّه به التفاحُ جمالاً وجلالاً ورقةً وإغراءً وطيباً وعطراً وتعبيراً عن لوعة عاشق محروم، إذ تَحمرُ مثله خجلاً، وتنعم ملمساً وتشتد قواماً، وتهدي نفسها لقبلة عاشقة في خفر يشبه خدود تفاحة تغازلها شمس الصيف فتضفي عليها سحراً مكنوناً يداعب شغاف قلب صغير في يوم صيفي طويل، طويل، بعد أن تنال منه وطرها.

زاوية شهرية تسلط الضوء على الماضي والحاضر وتداعب المشاعر والعقل وتقف في وجه اليأس، وتضع النقاط على الحروف.

• قيل بأن القبلة هي أول وسيلة للتواصل عرفتها البشرية، ونالت بعد ذلك نصيبها من القمع والمنع والتجريم والتحريم شأنها شأن الكلمة والشعر والحرية.

• عندما ترشح لمنصب الرئيس، اكتشف أنه لا يمتلك من صفات الخداع والمماطلة والكذب والنفاق ما يؤهله لذلك المنصب.

• قيل إن السياسة هي فن الممكن، ورغم أنني أنفقت سنوات طويلة أحاول فهم تلك العبارة، إلا أنني أصبحت لاجئاً في نهاية المطاف.

• هناك نوعان من البشر. أنا وأنت ونوع ثانٍ لا أُقرُّ به، ينتمي إليه مؤيدو الاستبداد والمطبلون للجلاد والراقصون على جثث الأبرياء وأحلام الفقراء، إن جاز التعبير طبعاً.

• تمتاز المرأة بحسن التدبير، ويمتاز الرجل بقدرته على إحباط كل محاولاتها في سبيل ذلك.

• تعجبني أولئك النَسَويات اللائي يحولنَ الرجلَ إلى عدوٍ تاريخي، ويذكرنني بأدبيات الممانعة التي يدين بها المقاومون للمشاريع الخارجية والمؤامرات الكونية دون الاعتراف بدورهم فيما نحن فيه.

• كانت تجاعيد وجه جدتي وجدائلها الطويلة تلخص كل تاريخ قريتنا الذي اندثر تحت جنازير دبابات بشار الأسد.

هل عيون الجميع للثورة ؟!

عبد الناصر كحلوس

هبت رياح الربيع العربي بداية 2011، ووصلت سورية "مملكة الصمت" محطمة كل توقعات الساسة والمحللين. ولم يكن البوعزيزي محرض هذه الثورات فقط، ولكن كان في الساحة السورية إرث هائل من الاستبداد والقهر والفساد والكبت.

وتفاعل أغلب السوريين مع الثورة الحلم الأمل بالخلاص.. البعض إيماناً والبعض قهراً، والبعض مرجلةً وشهامةً، حالها حال غالبية الثورات عبر التاريخ؛ فليس المجتمع يملك وعياً سياسياً وفكرياً، وربما تكفي الثورات بدايةً، وعي عفوي وحس وطني، على أن يكمل ويكلّل بوعي عال. وهذا ما لم يحدث لاحقاً..

وبدأ الشباب تطوير أدواتهم في المظاهرات السلمية، من تنسيقيات عبر النت وشعارات وإعلام وإغاثة وأرشفة وطبابة. وكان البعض يتفانى ويقدم الغالي والنفيس ببراءة وطهرانية؛ يقدمون المال والعيال والممتلكات لدعم وتمويل الثورة.. (طبعاً، قبل دخول الجهات الداعمة على خط الثورة وما أحدثت وأنتجت!).

كانت عيوننا جميعاً متجهة إلى الثورة وخدمتها والإيمان بانتصارها، أو هكذا كنا نظن أو كما كان يبدو. ذلك لأن عيوناً أخرى كانت ترى الثورة من زاوية ثانية، وتتربص باحثة عن الغنيمة "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا"، وتوافقت أطماعها مع جهات وجماعات، وأحياناً دول، كانت تقف دائماً للاستفادة من حالة الثورات والغليان، وربما بعضنا سمع أو رأى بعض هؤلاء الانتهازيين. لكن هناك أفراد كثيرون وبعدة مستويات لبسوا لبوس الثورة، وانتهكوا طهرها في لحظة غفلة الثوار الحقيقيين وانشغالهم بثورتهم وجرحاهم ونقل معاناتهم للعالم الصامت.

البعض من هذه الشريحة كانت عينه على الآثار؛ فسارع للبحث والتنقيب وسرقة الآثار وبيعها لأولئك الجاهزين، وبأسعار بخسة لجهلهم بما بين يديهم من قيمة تاريخية، أو لبحثهم عن ربح سريع.. فيما ذهب البعض الآخر لجعل صور وفيديوهات الثورة ونضالها، وتعب أبنائها باب استرزاق؛ وذلك عبر بيع الخبر والصورة.. وبيع ألم الناس ووجعهم لقاء حفنة من مال (طبعاً هنا الحديث ليس عن الإعلاميين الثوريين بل عن المتسلقين).

أما آخرون فكانوا أكثر ذكاءً من غيرهم؛ فعيونهم كانت تلهث وراء الوثائق في المقرات، سواءً الحكومية أو العسكرية، ولاسيما المقرات الفلسطينية. غنيمة ثمينة وقعت بين أيدي جهلة باعوها ببضع آلاف من الدولارات، واستثمرها غيرهم بمئات الآلاف من الدولارات، فيما لا يدرك هؤلاء مدى ضررها أو تأثيرها في الوقت الراهن أو مستقبلاً.

وهذه الشرائح الجشعة التي تاجرت بثورة شعبنا لم تقف عند ذلك الحد، بل تلونت وفق تغير الأوضاع وتغير مراحل الثورة؛ فبدلت جلدها سريعاً، سيما وأنه لم يبقَ في الوليمة إلا العظم.. وانتقل نشاطها مع بداية تسلّح الثورة إلى طرائق جديدة ومختلفة؛ فمن بيع السلاح واحتكاره، ثم إلى بيع النفط والمحاصيل الزراعية الاقتصادية، طبعاً كلٌ حسب موقعه ومنطقته وشبكة علاقاته.

وبعضهم اكتفى بالتجارة بلقمة عيش المحاصرين عبر شبكة علاقاته مع بعض المشبوهين من العسكريين على طرفي الصراع؛ نظام ومعارضة.

فيما آثرت شريحة ثالثة أن تفر بثروتها إلى خارج البلاد، ليمارس البعض دور المناضل والثائر وتوزيع شهادات الوطنية والشرف على الناس..

فيما البعض الآخر أسس لنفسه مؤسسة ثورية (لخدمة الثورة وأهلها!) يتاجر ويقبض المساعدات والهبات..

وفي خضم هذا المشهد يبقى الأمل وروح الثورة بالصامدين المرابطين في قراهم ومدنهم.. ممن صدقوا وينتظرون..

وما بدلوا تبديلا

من المسؤول عن الفشل الاقتصادي في سوريا؟

وائل موسى

هل حكم الأسد هو المسؤول عن الفشل الاقتصادي في سوريا؟

أم إنه ملازم للعقلية السورية حتى قبل وجود حكم الأسد؟

هل ما نعاني منه اليوم هو نتاج بذور تم غرسها بأيدينا سابقاً؟

بعد انطلاق الثورة السورية مطلع عام 2011، بدأ ظهور اتهامات كثيرة تلوم نظام الأسد بتفشي الفساد وتحويل سوريا إلى مزرعة للعائلة، ولا مجال للنقاش حول حقيقة هذه الاتهامات، حيث حولت عائلة الأسد الاقتصاد الوطني إلى مصدر دخل خاص للعائلة وأتباعها. لكن هل كان الوضع سيختلف فيما لو أن حافظ الأسد لم يصل إلى السلطة؟!

مراجعة لما قبل الأسد

بعد استقلال سوريا عن الانتداب الفرنسي بدأ الاقتصاد السوري بالنمو والتوسع من بلد زراعي إلى تطور بعض الصناعات، إلا أن توجه النخبة السورية آنذاك باتجاه الوحدة مع مصر مفتونة بالفكر القومي والممانعة، قضى على الكثير من المشاريع الناشئة بفعل التأميم.

كانت التجارة مهمة بالنسبة للاقتصاد السوري، والتي استفادت من موقع البلاد على طول طرق التجارة بين الشرق والغرب، وتتباهى المدن السورية بالصناعات التقليدية مثل النسيج وتعبئة وتغليف الفواكه المجففة والصابون وبعض الصناعات الثقيلة الناشئة. قضى التأميم على الكثير من الأحلام في تطوير الصناعات، وراح ضحية الفكر السياسي السوري كثير من المشاريع. وبالنظر إلى السياسات المعتمدة ما بين 1960 إلى 1980، فشلت سوريا في الانضمام إلى الاقتصاد العالمي الذي ازداد ترابطاً.

كانت سوريا من البلدان الأساسية الموقعة على الاتفاق العام السابق للتعريفات الجمركية والتجارة، لكنها انسحبت عام 1951 بسبب انضمام "إسرائيل".

في هذه المرحلة المهمة من بداية نشوء اتفاقيات التجارة العالمية كان من الواضح وجود جانب من الاهتمام الاقتصادي لدى السوريين، لكن انسحاب سوريا من مثل هذه الاتفاقيات وتحولها نحو الانغلاق كان دليلاً على عدم نضوج الوعي الاقتصادي وأهميته في السياسة.

توسع الناتج الإجمالي المحلي للفرد من 80% عام 1960 ليبلغ الذروة عند حدود 336% من إجمالي النمو عام 1970، ليتبين لاحقاً أن هذا النمو غير مستدام، وتقلص ليصل إلى 33% خلال عام 1980.

من التأميم إلى الاستيلاء

رغم أن فترة الوحدة بين مصر وسوريا كانت قصيرة جداً، إلا أنها تركت أثراً كبيراً في فكرة الاستيلاء على الممتلكات تحت شعار التأميم، فلم تسلَم البنوك الخاصة والمعامل والشركات الصناعية من التأميم، ليتم الاستيلاء على كل المشاريع والمؤسسات الاقتصادية السورية، وحتى بعد انتهاء الوحدة، تابع البعثيون حملة الاستيلاء تحت شعارات إصلاحية زراعية وصناعية، ليتبين لاحقاً أن الأراضي ليست بالضرورة لمن يزرعها، فمن الممكن أن تصبح مزرعة خاصة لأحد رجال الدولة، كذلك المصانع لم تصبح لمن يعمل بها، وتحولت إلى مؤسسات خاسرة نتيجة الفساد والمحسوبية.

بعد أن ثبت فشل الدولة في تنمية الاقتصاد عبر إقصاء الشركات الخاصة، عاودت ضمن خطوات إصلاحية لفتح المجال أمام رجال الأعمال من جديد، وفق قوانين بدت متسامحة مقارنة بمرحلة الاستيلاء، إلا أنه وبأفضل الأحوال ما تزال القوانين وقواعد التجارة حتى الآن بحاجة إلى الكثير من التعديلات للتوافق مع منظمة التجارة العالمية.

في البحث عن الصناعات السورية ومساهمتها في الاقتصاد الوطني، يمكننا اختصار الصناعة المؤثرة والمهمة على قطاع النسيج والألبسة، فيما يشكل النفط أهم سلعة يتم تصديرها والاعتماد عليها من قبل الدولة، إلى جانب تصدير المنتجات الزراعية، والتأثير الحالي على الاقتصاد السوري لا يغير حقيقة غياب الصناعات في سوريا، فهل سيختلف الحال في مرحلة ما بعد الأسد؟!

عودة إلى واقع الثورة السورية وما تعايشه البلاد من صراعات وتداخلات دولية وإقليمية، لم تنتج هذه المرحلة سوى المزيد من التراجع في واقع الاقتصاد السوري، كحالة طبيعية مرافقة لظروف الحرب، مع غياب واضح لاهتمام المعارضة السورية في الشأن الاقتصادي، لتقتصر الاجتماعات والندوات حول الشؤون السياسية والفكرية والإعلامية، ليرشح عنها الكثير من الخطابات والتصريحات والبيانات، مع غياب تام لأي طرح حول خطط أو مشاريع دراسة قوانين لاقتصاد البلد، بل إن التوجه العام ما يزال يعمل وفق نفس الفكر السابق لعهد الأسد، حيث تتصدر التوجهات اهتمام الجميع، فيما يبدو أن الاقتصاد الوطني ليس إلا ملحق يتم تأسيسه وفقاً للتوجه بدلاً من بناء التوجهات والسياسات وفق استراتيجيات مبنية على أساس المصالح الاقتصادية

الاحتياجات الإنسانية في سوريا لعام 2017

3.4 مليار دولار هو مجموع الكلفة المقدرة للاحتياجات الإنسانية في سوريا لعام 2017، بحسب مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية.

وفق أحدث التقارير لموقع الاستجابة الطارئة، تم تقدير عدد السوريين المحتاجين للمساعدة الإنسانية لعام 2017 بـ 13.5 مليون شخص، حيث يقدر عدد المحتاجين للمساعدة في المناطق المحاصرة والمناطق صعبة الوصول إليها بـ 4.9 مليون، فيما يقدر عدد المحاصرين المحتاجين للمساعدة بمليون شخص، ويعتبر 3.9 مليون شخص ممن يحتاجون المساعدة ضمن مناطق صعبة الوصول بما فيهم 0.94 مليون شخص ضمن مناطق مطوقة عسكرياً ولم يتم تصنيفها بمناطق محاصرة.

بحسب التقرير فإن 5.7 مليون شخص هم من ذوي الاحتياجات الشديدة للمساعدة.

تم تحديد 16 موقعاً كمنطقة محاصرة، 11 منها في دمشق وريفها، فيما تتركز المناطق صعبة الوصول إليها بشدة ومحاطة عسكرياً في كل من ريف دمشق وحمص، كما تم تصنيف كل من محافظة الحسكة والرقة ودير الزور بالإضافة إلى مناطق واسعة من محافظة حلب وأجزاء من محافظات حماة وحمص وريف دمشق كمناطق صعب الوصول إليها.

بلغ عدد النازحين داخلياً قرابة 6.3 مليون شخص ويقدر متوسط عدد النازحين الجدد يومياً 6100 شخص.

أما اللاجئين المقدر عددهم بـ 4.8 مليون شخص، يعيش غالبيتهم في دول الجوار، 2.74 مليون في تركيا، 1.04 مليون في لبنان، 656.4 ألف في الأردن، 239 ألف في العراق، فيما يلجأ أكثر من 24 ألف مواطن عراقي إلى الأراضي السورية.

وصل إلى أوروبا قرابة 300 ألف لاجئ عبر البحر، ويقدر عدد المفقودين أو الموتى أثناء رحلة اللجوء ما يقارب 3498 شخص. ووصل عدد طلبات اللجوء حتى آب 2016 إلى أكثر من 313 ألف طلب، ويقدر عدد المهاجرين شرعياً قرابة 84 ألف شخص.

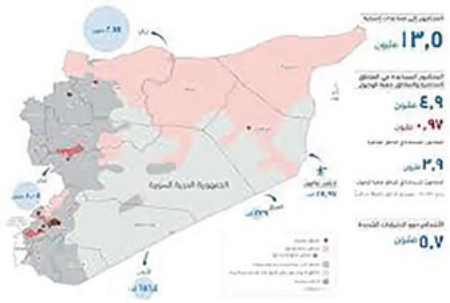

85% من السوريين باتوا يعانون من الفقر، و96% يعانون من الفقر الشديد منهم 35% يعانون من الفقر المدقع.

تبدأ الاحتياجات الأشد طلباً من الحصول على المياه والصرف الصحي، يليها بالترتيب حسب الأكثر طلباً، التعافي المبكر وسبل العيش، الحماية، الصحة، الأمن الغذائي، تنسيق المخيمات وإدارتها، التعليم، المواد غير الغذائية، التغذية، المأوى.

بلغ حجم المساهمة لتمويل الاحتياجات حتى الآن 60.4 مليون دولار، وتشكل 1.8% من كامل المبلغ المطلوب لتلبية احتياجات عام 2017.

شركة خلوف تعود للعمل بعد توقف دام خمس سنوات

كشفت صحيفة الثورة الرسمية للنظام السوري عن إطلاق أول سيارتين جديدتين من إنتاج شركة خلوف التجارية بعد عودة الشركة إلى العمل بعد توقف دام خمس سنوات، وذلك خلال حفل مخصص لذلك في فندق الشيراتون بدمشق، وذلك برعاية رئيس مجلس الوزراء عماد خميس.

شركة خلوف التجارية التي توقفت عن العمل والإنتاج منذ بدء الاحتجاجات ضدّ النظام السوري، يقول مديرها العام معاذ خلوف إن "عودة الشركة إلى العمل تزامنت مع انتصارات الجيش العربي السوري على الإرهاب" بحسب تعبيره، "وبدء عملية إعادة الإعمار وإعادة دوران عجلة الإنتاج في سورية".

وأوضح أن الشركة، ومقرها في مدينة حماة، أنتجت هاتين

السيارتين بالتعاون مع شركة إم-دي-إف الصينية المعروفة في مجال صناعة السيارات.

"أدب السجون في مصر وسورية والعراق: الحرية والرقيب"

للسورية لينا الشيخ حشمة

غسان ناصر -طلعنا عالحرية

صدر مؤخرًا، عن "مجمع القاسمي للغة العربية" و"مكتبة كل شيء" في حيفا المحتلة، كتاب الدكتورة لينا الشيخ حشمة تحت عنوان: "أدب السجون في مصر وسورية والعراق: الحرية والرقيب"، وقد جاء في (٤٨٤ صفحة من القطع المتوسط)، وهو عبارة عن صيغة معدلة لأطروحة الدكتوراه التي أعدتها وقدمتها الكاتبة السوريّة في العام 2014 لقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة حيفا.

يعالج الكتاب بين دفتيه، موضوع حرية الإبداع والثالوث المحرم: السياسة، الدين والجنس في زمن الطغيان، في عالمنا العربي بشكل عام، وفي مصر وسورية والعراق بشكل خاص. وفيه تتعمق الباحثة في موضوعات المثقف والرقابة وأدب السجون، وهو ما خصصت له الفصل الأول.

بينما ركزت في الفصل الثاني على مصر وسورية والعراق، فتناولت في الباب الاول: فترات حكم الزعيم جمال عبد الناصر وأنور السادات والرئيس المخلوع محمد حسني مبارك، وكيف تعامل كل واحد منهم مع المثقفين والمبدعين والرقابة والقمع والسجن، وكيف اُستخدمت سلطات الرقابة السياسية والاجتماعية والدينية في عهد كل من الحكام الثلاثة.

أما الباب الثاني فخُصص لسوريا في إبان فترة حكم البعث، التي ابتلينا فيها بالأسد الأب والابن، مسلطة الضوء على ما واجهه المبدعون السوريون من رقابة وتعذيب وقمع وقتل نتيجة لتفعيل السلطات الرقابيّة الثلاثة.

وتطرقت الكاتبة في الباب الثالث، إلى ملامح علاقة النظام والرقابة بالمثقف في العراق في ظل حكم صدام حسين ووسائل ووسائط الرقابة السياسية والاجتماعية والدينية.

فيما تناولت في الباب الرابع، موضوع المرأة والحرية الإبداعية في مصر وسورية والعراق، لتخلص هنا إلى أن المرأة تتحدى "العقلية الذكورية" إلى جانب السلطة المستبدة، بينما المبدع يتحدى سلطة الحاكم الطاغية.

انتفاضة ضد الرقابة المؤسّساتية والذاتيّة..

واشتمل الفصل الثالث من الكتاب، على عدة أبواب فقد ناقش القمع والسجن في النصوص الأدبيّة في الروايات والنصوص المصريّة والسوريّة والعراقيّة والعلاقة الجدلية بين السجان/السجن والسجين. الشخصيات ومنها: الجلاد/ المحقق/ للسجان، السجين، وصور التعذيب النفسي والجسدي.

واسهبت الكاتبة بدقة وعمق في تفصيل المستويات

الفنية المتعددة في أدب السجون. ومن ثم دراسة الموضوعات السابقة في رواية الكاتبات المصريات والسوريات والعراقيات.

وخصصت الكاتبة حيزًا هامًا لبحث وجوه الفرق والتشابه بين الرواية والسيرة الذاتية، ومقاومة الحبكة التقليدية، وموضوعات الزمان والمكان، والتناص وآليات أخرى.

ويلمس القارئ أنّ المؤلفة راجعت وقرأت نصوصًا وأعمالًا أدبيّة كثيرة ومتعددة تطرقت لموضوع البحث، خاصةً كتب الرواية والسيرة الذاتية وحاولت تغطية فترة زمنية طويلة لأنظمة حكم استبدادية وقمعية في ثلاثة من أقطارنا العربية.

الكتابُ عميقٌ وهام وغني في المعلومات والتحليل؛ وفيه سرد للجوانب القانونية التي تُشرّعن للرقابة في كل واحدة من البلدان الثلاثة، وكيف يؤثر الرقيب على العمل الأدبي وخصوصًا أدب السجون.

وربطت الباحثة في دراستها هذه، بين الجانبين البحثيين النظري والتطبيقي. ما جعل منجزها الأكاديمي يساهم بشكل مميز في فهم الأدب والكتابة عن الواقع والتخييل، كما أنها سجلت في ما طرحته من أفكار هامة انتفاضتها ككاتبة ضد الرقابة المؤسّساتية والذاتيّة، معلنة انحيازها لقيم الحرية والإبداع.

أدب السجون في سوريا .. فضح الاستبداد

وقد ختمت المؤلفة السوريّة كتابها بجملة من الملاحق والجداول الهامة التي توثق للمواضيع المتناولة في البحث، إضافة إلى قائمة مصادر ومراجع طويلة وشاملة.

ويجدر هنا الإشارة لمجموعة من الكتب السوريّة التي تناول كتّابها تجربتهم في سجون الأسد الأب والابن في العقود الأربعة الأخيرة، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب "خيانات اللغة والصمت" للشاعر فرج بيرقدار، الذي خصص فيه فصلًا كاملًا عدد فيه جميع وسائل التعذيب التي نسمع بها مثل "الدولاب" و"الكرسي الألماني"، شارحًا كيف يتم التعذيب في كل واحدة منها.

ورواية "القوقعة: يوميات متلصص" للكاتب مصطفى خليفة، الذي مكث في السجن 13 عامًا إثر عودته من باريس -مدينة والنور والجمال- إلى دمشق ليجد نفسه في أقبية المخابرات الحربية بتهمة الانضمام إلى "جماعة الإخوان المسلمين" رغم أنه مسيحي الديانة. وذلك بسبب تقرير كتبه فيه أحد زملائه في الغربة.

وكذلك رواية "أنشودة البرد والحرية" للكاتب سمير قنوع، والتي قارب فيها عالم السجن، رغم أن تجربته فيه لم تتجاوز ثلاثة أيام. وكتاب "الوحدة تدلل ضحاياها"، وهو الأول للكاتب الكردي السوري دارا عبد الله (اعتقل لفترة في السجون السوريّة). ولا ننسى كتاب "بالخلاص يا شباب، 16 عامًا في السجون السوريّة" لياسين الحاج صالح، الذي قبع بسجون الطاغية الأب والابن السفاح ستة عشر عامًا. يقول "صالح" في مقدمة كتابه بأنه "لم يفِ ما كُتِبَ عن السجن السوري حتى اليوم التجربة حقها. سُجن آلاف ومرّ بتجربة السجن عشرات الآلاف، ولم تُكتب أو تُنشر غير بضعة كتب".

هذا ويَعتبرُ عدد من النقاد أن العديد من كتّاب السير والروايات التي تستعرض تجاربهم داخل السجن، تعمّدوا إخفاء حقائق عاشوها في المعتقلات، من قبيل ما تعرضوا له من تصرفات أو انتهاكات لحقوقهم، وذلك من أجل عدم "صدم" أقاربهم وأفراد أسرتهم بخصوص الأحداث المرعبة التي عاشوها وتعرضوا لها داخل أقبية سجون الطغاة.

إنّ هذا الكتاب جدير بالقراءة المتأنية، للاستفادة منه لإجراء أبحاث أخرى في أماكن وأزمنة أخرى، وخصوصا لدى شعبنا السوري، الذي يقبع الكثير من أبناءه منذ سنوات طوال، في سجون وأقبية الاستبداد الأسدية.

نشرة ثقافية

إبداعات ونشاطات سورية

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

مبدعون سوريون يهيمنون على جوائز "الشارقة للإبداع العربي"

أعلنت جائزة "الشارقة للإبداع العربي" قبل أيام، نتائج دورتها العشرين، متوجة 19 فائزاً بالمجالات الستة للجائزة، وهي الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح وأدب الطفل والنقد.

وحصد كتاب وشعراء سوريا النصيب الأكبر من الجوائز، بعد أن حصل مبدعونا على 6 جوائز، فيما تقاسم الجوائز المتبقية مبدعون من 5 دول عربية.

وقالت الأمانة العامة لجائزة "الشارقة للإبداع العربي" في بيان لها، إنه فاز بالمركز الأول في مجال الشعر، السوري أحمد شكري عثمان عن مجموعته "كمآذن ألفت مراثي الريح"، وفاز بالمركز الثالث مناصفة مع شاعر مصري، السوري حيدر محمد هوري عن مجموعته "كبرت حين ضاق القميص".

وفي مجال القصة القصيرة، فازت بالمركز الأول السورية روعة أحمد سنبل عن مجموعتها "حمل هاجر"، فيما فاز بالمركز الثاني السوري محمد أحمد حاج حسين عن مجموعته "اعترافات المسخ". وفي مجال المسرح، فاز بالمركز الثاني السوري مصطفى تاج الدين الموسى عن مسرحية "صديقة النافذة"، وبالمركز الثالث السورية مريم طه العثمان عن مسرحية "الفاقد".

وفي مجال أدب الطفل، فاز بالمركز الثالث السوري عصام كنج الحلبي عن مجموعته "دفتر الحكايات". فيما لم يفز أي سوري بمجالي الرواية والنقد.

جدير بالذكر أن هذه الجوائز تُمنح للأعمال التي لم يسبق نشرها في كتاب ويحصل الفائز بالمركز الأول في كل مجال على 6 آلاف دولار، بينما يحصل صاحب المركز الثاني على 4 آلاف وصاحب المركز الثالث على 3 آلاف. وتتكفل دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة بطباعة جميع الأعمال الفائزة.

صدور رواية "المشّاءة" لسمر يزبك

صدر حديثاً عن "دار الآداب"، بيروت، رواية "المشّاءة" للروائية السورية سمر يزبك. ومما جاء فيها: "تمشي بلا توقُّف. تكره الكلام. تكتب أنَّ اللسان عضلة زائدة عن الحاجة. تربطها الأمّ بحبلٍ ينتهي بمعصم الأمّ نفسها. تستبدل صوتَها والكلمات بالرسوم والألوان، وتكتشف أنّ الحياة إنَّما هي تمارينُ على شعور الدخول في الموت، وأنَّ كلّ ما يحصل تمرين، مثل التمرين على الرسم والخطوط والألوان. تصف الموت وتشكّله بالألوان، وتجعلنا ننصت إليه، وسط عالمٍ يتلاشى فيه المعنى والأمّ والأخ والحبيب والقلم الوحيد الذي تملكه".

يُشار إلى أنه صدر سابقاً لسمر يزبك عدة روايات، هي: "رائحة القرفة"، و"صلصال"، و"لها مرايا"، و"جبل الزنابق"، و"تقاطع نيران"، و"بوّابات أرض العدم".

منح للشباب السوريين لدراسة الإخراج السينمائي في إسبانيا

وافقت مؤخراً، جامعة إسبانية عريقة خاصة هي جامعة "كاميلو خوسيه ثيلا" في مدريد على تقديم منحة دراسية كاملة في مجال الإخراج السينمائي لمدة خمس سنوات، لعشرة طلاب سوريين من اللاجئين، ممن يحملون شهادات البكالوريا الإسبانية، أو الشهادات المرفقة معهم من بلادهم والمعدلة في إسبانيا. وذلك بعد حملة اعلامية ضخمة لمساندة اللاجئين السوريين وتحسين أوضاعهم، قامت بها منظمة "أكنور" مدعومة بمنظمات أخرى مثل منظمة "ثيار" ومنظمة "أكثم" ومنظمة الصليب الأحمر الإسبانية. وتتضمن هذه المنحة دفع رسوم الجامعة إضافة إلى تقديم سكن في حرم الجامعة نفسه، والتكفل بكل مستلزمات الدراسة الجامعية. هذا وتعتبر رسوم الدخول للجامعات في إسبانيا، مكلفة جدًا على السوري الذي يأخذ مساعدات قليلة، لمدة سنة واحدة من تاريخ لجوئه.

"داعش، السينما والموت".. كتاب للفرنسي جان لويس كومولي

صدر مؤخرًا عن "دار فيرديه" الفرنسية، كتاب بعنوان "داعش، السينما والموت" للمخرج والسيناريست والكاتب جان لويس كومولي. وقدم المؤلف لكتابه قائلًا: "داعش تصوّر موت الذين تعذبهم. داعش تفعل ذلك، وتلجأ بشكل منهجي إلى المؤثرات البصرية الأكثر إبهارًا، مقلدة بذلك أفلام الأكشن الهوليوودية. أكثر من ذلك، تمتلك داعش إستوديو للإنتاج وتتقن تمامًا كل التقنيات الرقمية. وسواء أكانت أفلام داعش خاضعة للرقابة أم لا، فإنها تبثّ باستمرار في كل أنحاء الكرة الأرضية".

ويضيف "كومولي": "(عدو الغرب)، يستعمل الوسائل والوسائط التي صنعها الغرب. فداعش لا تشتري وتبيع وتستغل وتضارب وتستخدم فحسب، لكنها تتجاوزنا كغرب، من حيث تنجز التحالف المروع وغير الطبيعي بين السينما والموت. أردت فهم هذا التطرف الخاص بزمننا".

"حدث ذات مرّة في حلب".. قصائد ويوميات لفؤاد م. فؤاد

"حدث ذات مرة في حلب" كتاب شعري جديد، صدر عن "دار رياض الريس" في بيروت، للشاعر والطبيب السوري الحلبي المقيم في بيروت فؤاد م. فؤاد، الذي يُعدُّ الشعر بالنسبة له كما الجراحة مبارزة دائمة مع الألم ومحاولة لتهشيم المعاناة. جاء الكتاب في 115 صفحة من القطع المتوسط. وفيه نقرأ عن ناجي الجرف الذي «لم ينجُ (...) ولم يتسنَّ له الوقت ليقول: لماذا أنا؟». وعن الطفل عمران الحلبي، الذي ستمحو صورته صورة إيلان الكردي التي محت من قبلها صور آخرين وستمحو الصورةَ التي بعدها، هي أيضاً، صورُ آخرين سيأتون إلى الموت.